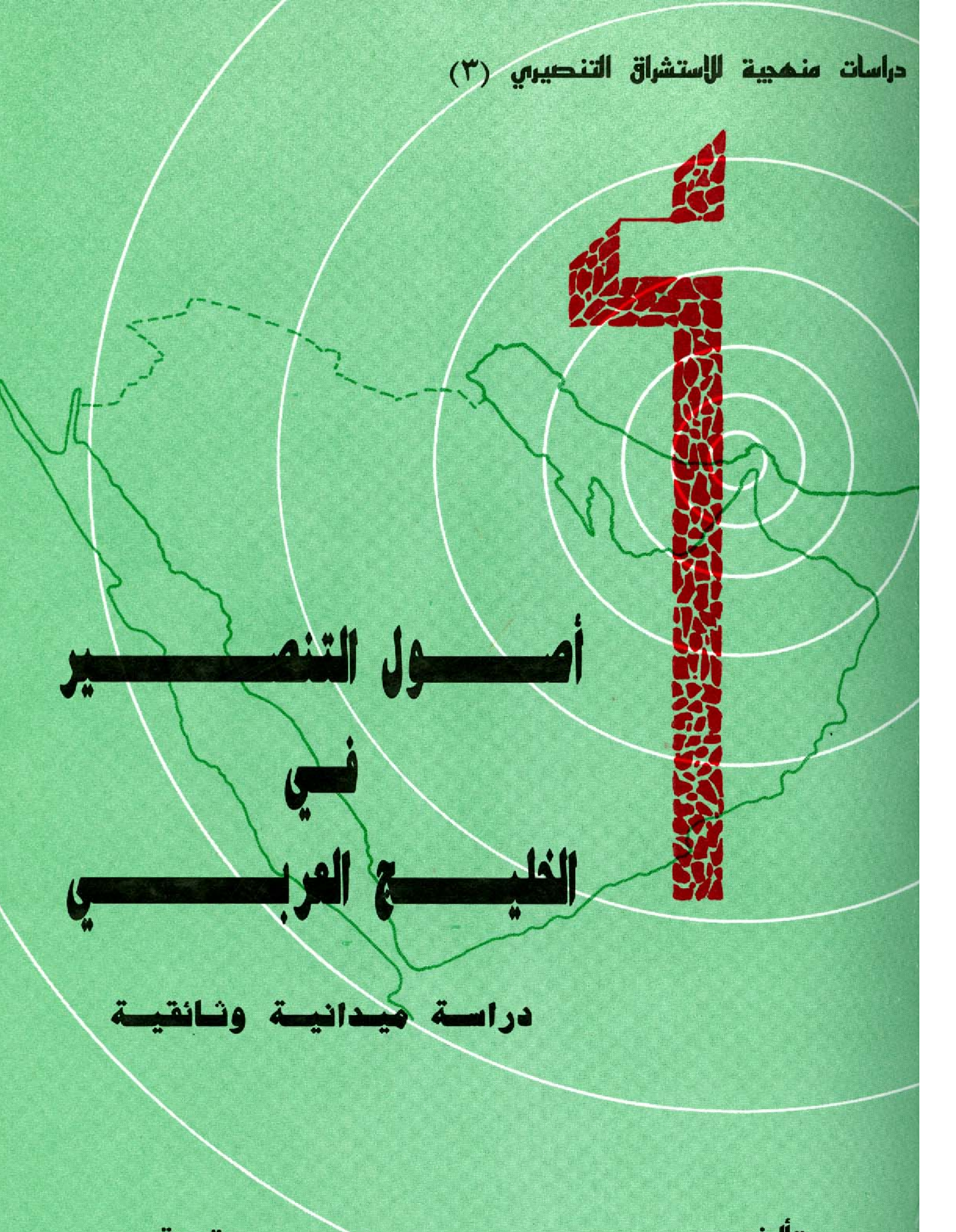


دراسات منهجية للاستشراق التنصيري (٣)

أصول التنصير في الخليج العربي

دراسة ميدانية وثائقية

تأليف

هـ. كوتوي زيقلر

ترجمة

مازن صلاح مطبقاني

أصول التنصير في الخليج العربي

(دراسة وثائقية)

نشاط البعثة البروتستانتية

في الخليج العربي

١٨٨٩ ـ ١٩٧٣

تأليف

هـ . كونوي زيقلر

ترجمة

مازن صلاح مطبقاني

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية



أصول التنصير في الخليج العربي

ترجمة

مازن صلاح مطبقاني


http://kotob.has.it

هذه الترجمة لرسالة ماجستير بعنوان :

إزهار مؤقت في الصحراء

نشاط البعثة البروتستانتية في الخليج العربي ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣ م

تأليف : هـ كونوي زيقلر

مقدمة لقسم دراسات الشرق الأدنى

بجامعة برنستون عام ١٩٧٧م

A Brief Flowering in the Desert :The Activity of the Protestant Mission in the Arabian Gulf 1889-1973.

By

H. Conway Zeigler.

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م

الإهداء

إلى من كانت ابتسامته وإشراق وجهه يدفعاني إلى العمل الدؤوب والصمود أمام المصاعب ، فإن ذكراه اليوم تلح علي أن أبذل مزيداً من العمل والتمسك بالحق . إلى روح والدي . أسأل الله له الرحمة والمغفرة والرضوان .

مازن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

هذه وثيقة عن التنصير في الخليج العربي ، أصلها بحث علمي تقدم به صاحبه إلى إحدى الجامعات المشهورة في الولايات المتحدة الأمريكية ونال به درجة الماجستير في دراسات الشرق الأدنى عام ١٩٧٧ م .

مالي وللتنصير ؟ فهو موضوع له رجاله المختصون فيه .

لكن هل المسألة تحتاج إلى اختصاص ؟

التنصير هو دعوة الناس للدخول في النصرانية . فإن لم يدخلوا فيها فليخرجوا عن دينهم وبخاصة المسلمون .

عثرت على هذه الوثيقة في أثناء قيامي بجمع مادتي العلمية لبحثي للدكتوراه الذي لم يتم بعد وأخبرت بها أخي الأستاذ يوسف رشاد فأشار علي بترجمتها وحثني على ذلك فجزاه الله عني خيراً .

هل التنصير يحتاج إلى اختصاص ؟ الجواب نعم ولا !
أذكر من أيام طفولتي البعيدة في الأردن أنه كان هناك مدرسة تدعى « مدرسة الأخوات » . وهذه المدرسة تفتح أبوابها في الإجازات لأبناء المسلمين والنصارى على السواء ، وكانت تقدم لهم التسلية . وتمتاز المدرسة بأنها ذات ترتيب لم نعهده في مدارس المسلمين وتجهيزاتها راقية . وهذه وسيلة قوية جداً لجذب أبناء المسلمين . لكنني نفرت منها في تلك السن الصغيرة لأنني وجدت أبناء النصارى يُعاملون معاملة مميزة وكأن هذه خصلة لازمتني منذ ذلك الوقت أن أمقت الجور مهما قل ومهما كانت صورته . وأحمد الله أن والديَّ لم يصرا على ذهابي إليها لوعي والدي رحمه الله بخطورة مثل هذه المدارس .

وبعد سنوات ابتعثت إلى الولايات المتحدة للدراسة الجامعية ولما وصلت نيويورك وجهني الملحق التعليمي إلى معهد اللغة الإنجليزية في لوس أنجلوس .

وفي مطار لوس أنجلوس استقبلني شخص بعثه معهد اللغة لمساعدتي في السكن وفي الأمور الأخرى التي يحتاج إليها القادم الجديد إلى أمريكا .

ونزلت أحد الفنادق القريبة من المدرسة ، وأخذت أتردد إلى نادٍ للطلبة الأجانب يشرف عليه هذا الرجل وفي أحد لقاءاتنا

عرض علي السكن معه في منزله فرحبت بالفكرة لأنها تتيح لي فرصة تعلم اللغة ، ومعرفة الحياة الاجتماعية والأسرية الأمريكية عن قرب .

وفي أثناء سكني عند هذه العائلة علمت أن رب الأسرة قضى في إيران إحدى عشرة سنة منصراً حتى أتقن اللغة الفارسية ، وأنه عاد إلى لوس أنجلوس ليرأس كنيسة الباب المفتوح وعقد اتفاقاً مع معهد اللغة يقوم بموجبه باستقبال الطلاب الأجانب ومساعدتهم والاهتمام بهم في نادي الطلبة الأجانب الذي يقع بالقرب من معهد اللغة . وهنا عزمت على مغادرة بيته فتهيأ ذلك بعد نقاش دار بيننا حول قضية فلسطين تشعب فيه الحديث إلى الإسلام والنصرانية فعلمت منه أنه ينكر نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأعلنت له قراري بالانتقال إلى سكن آخر . وفعلت .

لم تكن هذه آخر صلة لي بالتنصير فقد عدت إليه من خلال بحثي في تاريخ الجزائر الحديث فعلمت أن القدر يقودنا أحياناً إلى أمور تظل كامنة في النفوس فحمدت الله على مايسر لي من الاطلاع على هذه الوثيقة وتقديمها .

ماذا في هذه الوثيقة ؟

إنها تؤرخ للبعثة العربية الأمريكية وتقوِّم جهود هذه البعثة من الداخل . تتحدث عنها من نقطة الانطلاق وتواكب مسيرتها عبرأربعة وثمانين عاماً . تروي قصة بناء المستشفيات والمدارس ومراكز توزيع الإنجيل . وتحدثنا عن علاقة المنصرين بالشعب العربي المسلم في الخليج وفي الجزيرة العربية . تحدد أهداف البعثة التنصيرية وماحققته من هذه الأهداف ومافشلت في الوصول إليه وأسباب هذا الفشل .

كذلك تحدثت الدراسة بإيجاز عن علاقة البعثة بالمكان الذي انطلقت منه في أمريكا وهو مدينة نيوبرونزويك بولاية نيوجيرسي ثم تبنِّي مجلس البعثات الخارجية للكنيسة الإصلاحية الأمريكية لهذه البعثة . ومن هذه الصلة تنطلق الدراسة لتؤكد وجود روابط قوية بين البعثة والاستعمار الغربي والدول الغربية . كما تشير إلى انتشار المذاهب المادية الملحدة في الغرب حتى إن هذا الغرب لايستحق أن يطلق عليه الغرب النصراني أوالحضارة النصرانية كما اعتاد أوائل المنصرين أن يطلقوا عليهما .

أحسست أثناء الترجمة أو بعد إنجازها أن هذه الرسالة تفتقر إلى عمق المعالجة والتحليل في قضايا كثيرة أو أنها

ينقصها تفاصيل وحديث في بعض جوانب عمل البعثة لكني لم أجدها . فعلى سبيل المثال لاتتعرض الدراسة مطلقاً للمناهج الدراسية في المدارس التنصيرية ولا تذكر شيئاً عن حوار المنصرين مع المسلمين . وشاء الله أن أجد كتاب الدكتور عبد المالك التميمي الموسوم « التبشير في منطقة الخليج العربي » يشير إليها بشيء من العمق والتفصيل فهو كتاب يستحق أن يقرأ وبخاصة أنه يقدم دراسة للتنصير في الخليج قديماً وحديثاً ويعرض لنشاطاته بالتفصيل الذي ينقص هذه الوثيقة كما أن هناك رسالة علمية للدكتور سعيد حارب المهيري بعنوان « الغزو الفكري في الخليج العربي » تناولت التنصير بصفته واحداً من أساليب الغزو الفكري وقد بذل صاحبها جهداً عظيماً يستحق التقدير والثناء .

هذه الوثيقة تؤرخ للبعثة الأمريكية وتطوراتها ولكن يبقى على المسلمين أن يدركوا خطورة عملها ، وأن يتخذوا الموقف المناسب منها وقد قيض الله من الباحثين والعلماء المسلمين من كتب في التنصير . ولا يفوتني أن أذكر كتيباً هو في قيمته سفر جليل ألفه الشيخ الأستاذ يوسف العظم وعنوانه « أين محاضن الجيل المسلم ؟ » ينذر الأمة فيه بأخطار التنصير ، وينادي بضرورة الاهتمام بأبناء المسلمين وحمايتهم من الوقوع

في مخالب التنصير .

وكما تعرض المشرق الإسلامي من أندونيسيا إلى الجزيرة العربية لموجات التنصير فكذلك كان للمغرب الإسلامي العربي حظه من هذه الفتنة والبلاء ، وقد أحببت أن أعرض بعض نماذج وعي إخوتنا في المغرب لمخاطر التنصير للتذكير بأننا أمة واحدة وجسد واحد « إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » وإن كان الاستعمار والجهل قد مزقا هذه الروابط فلا بد من إعادتها ولابد أن يتصدى لإعادة هذه الروابط من نوّر الله بصيرته ووهبه الإدراك وأبعد عنه ضيق الأفق .

يقول أحد الباحثين في حركة التنصير في شمال أفريقيا :

« وحركة التبشير من الحركات التي يجب أن يقف عندها الباحث والمؤرخ على الخصوص . لا لفهم وتفسير الأحداث والعقلية السائدة فحسب بل يجب أيضاً فهم الأيدلوجية الدينية المسيحية التي كانت وراء تطلعات الكنيسة بأفريقيا ..... وتحدث الكاتب عن ارتباط التنصير بالاستعمار الغربي وأن بينهما هدفاً مشتركاً هو : « القضاء على الطابع الإسلامي لهذه الشعوب خدمة للمسيحية وللإنسانية » .[1]

---

(١) عبد الجليل التميمي ، « دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس ١٨٣٠ - ١٨٨١ » **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد ٣ . يناير ١٩٧٥ ص ٥

وشاء الله أن تظهر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام (١٣٤٩ هـ) ١٩٣١ بعد مرور قرن على احتلال الجزائر فعملت على محاربة التنصير بعدأن سبرت غوره وعرفت أهدافه ووسائله وفي ذلك يقول رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي :

« الجزائر مركز ممتاز لجماعات التبشير المتعددة التي يصب عليها المال هباء والتي تتخذ من المال أدوات للتنصير ، والاستعمار الفرنسي مسيحي بالطبع ....ولذلك نجده خلف كل حركة تبشيرية يحميها وييسر لها ويمهد السبل للانتشار ، ومن هذه السبل الشيطانية خلقه للمجاعات في وطن كله خير وفير ليحمل الجياع على الالتجاء إلى رسل الرحمة المبشرين .... » فماذا عملت الجمعية ؟ يضيف الإبراهيمي قائلاً « فرأت أن تيار التبشير المؤيد بأسباب القوة لايقاوم بالأقوال وإنه لايقاوم إلا بتقوية المعاني الدينية في النفوس ، ومنها القيام بحق الله في البائس الفقير والرحمة باليتيم والبر بالمساكين ، وشرحت للأمة المنافذ التي يتسلل منها هؤلاء المبشرون .... » [١] .

بل إن جمعية العلماء شاركت الأمة الإسلامية وبخاصة الهيئات الإسلامية التي كانت تدرك مخاطر التنصير في

---

(١) البشير الإبراهمي .آثار البشير الإبراهيمي ج ٤ . ص٢٣٧ /٢٣٨ .

مقاومته . ومن ذلك قيام صحيفة جمعية العلماء « الصراط »
بإعادة نشر النداء الذي صدر عن مشيخة الأزهر يحذر المسلمين
من معاهد التنصير . ورغم أن هذا النداء قد صدر . قبل أكثر
من خمسين سنة ولكن مدارس التنصير استمرت وازدهرت وكأن
نداء الأزهر صيحة في واد أو كما قال الشاعر :

لقد أسمعت إذ ناديت حياً ....

ولابأس أن نعيد بعض كلمات النداء :

أيها المسلمون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فقد قامت هيئة كبار العلماء وقادة الرأي في الأمة
يحذرونكم من دور التعليم التبشيرية التي ظاهرها خدمة العلم
وباطنها فتنة المسلمين عن دينهم .

أيها المسلمون

.........إن من أدخل ولده أو قريبه هذه الدور وهو يعلم
لم يكن الله ليغفر له ولا يهديه سبيلا » [1] .

ويواصل النداء تحذيره من هذه المدارس وماتجره على الأمة من
فتنة وبلاء .

---

(١) الصراط السوي . عدد ٥ في ٢٦ جمادى الثاني ١٣٥٢ ـ ١٦ أكتوبر ١٩٣٣ م .

وها أنا أقدم لكم صورة من الجهد الكبير الذي بذلته البعثة العربية الأمريكية طوال أربعة وثمانين عاماً لتجعل النصرانية ديناً مقبولاً لا ديناً محرّفاً وإنها وإن لم تنجح في ادخال عدد من المسلمين إلى النصرانية فقد نجحت من وجوه أخرى .

ولذلك أترك هذا العمل المتواضع في ترجمة الدراسة للقارئ فإن أصبت فلله الحمد والمنة وإن أخطأت فرحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مازن صلاح مطبقاني
المدينة المنورة ، المعهد العالي للدعوة الإسلامية
قسم الاستشراق
٣ رمضان ١٤٠٩ هـ ٨ أبريل ١٩٨٨

شكر واعتراف بالجميل

إنني مدين بعمق لكل المنصرين في البعثة العربية التابعة للكنيسة الإصلاحية (بروتستانتية كالفنية) في أمريكا (RCA) الذين أعطوني من وقتهم بكرم لأشاركهم تجاربهم وأفكارهم في اللقاء ات التي اجريتها معهم في الخليج وهنا في الولايات المتحدة الأمريكية . وأرغب كذلك في تقديم الشكر للآنسة إلس ستريكر Stryker Elsie و د . جون بيردسلي Dr John Beardsly والدكتور لوروي إنجلهارت Le Roy Englelhardt وموظفي مكتبة قاردنر إي ساج Garden A.Sage في معهد نيوبرونزويك اللاهوتي لمساعدتي في الحصول على بغيتي من أرشيف الكنيسة الإصلاحية وكذلك على إعارتهم لي للصور التي تظهر في الصفحات ....

...........واشكر كذلك السيد جون بيوتن John Buteyn للطفه في إعارة أوراق من سجلات الكنيسة الإصلاحية في نيويورك ولكن فوق ذلك كله أشكر القس لويس ارسكودر الابن

الذي قدم إلي النصائح وشجعني وساعدني بكل طريقة ممكنة في إعداد هذه الرسالة منذ بدايتها في الكويت في ١٩٧٢حتى طباعتها الأخيرة في نيوبرونزويك في عام ١٩٧٧ م .

هـ . كونوي زيقلر

المقدمة

المقـدمـة

عيد الميلاد في الكويت

« عيدكم مبارك » ويأتي الجواب التقليدي « وأيامكم سعيدة » . جاء الضيوف أفراداً وجماعات صغيرة منذ الصباح حتى المساء ويقدر عددهم بالمئات . جاؤوا لتقديم احترامهم وشرب فنجان من القهوة والتحدث قليلاً حول الأيام الخوالي . لقد كان يوم عيد الميلاد عام ١٩٧٢ م وكنت أزور عائلة القس سكدرز ، وهي عائلة تنصيرية أمريكية تعيش في الكويت . والمنزل الذي يسكنه دكتور سكودر وزوجه منزل متين وجميل ويتكون من طابق واحد من اللبن والصخور المرجانية . لقد بناه المنصرون الأول في الكويت عام ١٩١٦ م وكان مظهره الخارجي يشبه العزبة الهندية بشرفاته المظللة الخارجية ونوافذه البابية العميقة لتخفف من حرارة الشمس . وفي الداخل كانت أرضياته مغطاة بالسجاد الإيراني الثمين من أصفهان وشيراز ، كما كانت جدرانه مزينة بتحف نحاسية من الهند ودلال قهوة من الجزيرة العربية وأثاث مرصّع من دمشق .

وكما شرح لي الدكتور سكودر فإن عادة الزيارة في العيد هي أصلاً عادة عربية . فالعائلات الكبرى عندما تحتفل بعيد

الفطر بعد نهاية شهر رمضان ، وعيد الأضحى بعد عيد الفطر بعدة أسابيع يمكثون في منازلهم لاستقبال الزوار من السابعة صباحاً حتى الخامسة ليلاً وقد قسمت المدينة إلى ثلاثة أقسام لهذا الغرض : الشرق أوالمنطقة الواقعة شرق قصر السيف ، والقبلة أو المنطقة الواقعة غرب قصر السيف ، والمرقاب أو المنطقة من السوق القديم حتى أسوار المدينة . فعائلات الشرق تستقبل الضيوف في اليوم الأول بعد نهاية رمضان وفي اليوم الثاني القبلة ، وبعد ظهر اليوم الثاني لأهالي المرقاب . وقد استعارت البعثة التنصيرية الأمريكية هذه العادة العربية من أوائل القرن وذلك لتهيئة فرصة سنوية لأصدقائهم لزيارتهم . ويوم عيد الميلاد هو يوم تقوم فيه البعثات التنصيرية والبعثات الدبلوماسية ـ وكان حينئذ المقيم السياسي البريطاني فقط ـ باستقبال الضيوف ومضى الدكتور سكدر Scudder يقول إنه في هذا اليوم يأتي كثير من الناس ومن ضمنهم الحاكم نفسه ؛ ذلك أن البعثة كانت في ذلك الوقت قوة نشطة وفعالة في الكويت . ولكن الذين يأتون هذه الأيام إنما هم أناس عاديون وأفراد يمثلون الأسرة الحاكمة وأصدقاء مقربون من للبعثة . تبدأ زيارة البعثة بزيارة منزل القس ويتلوها زيارة منزل طبيب البعثة (الحكيم) وقد توقفت زيارة القس في أوائل الستينات لسياسة اتخذها

الراعي الإلزامي ، ولكن حتى عام ١٩٧٦ م فإنه مازال هناك قلة من التقليديين الشجعان الذين يطرقون بشجاعة باب منزل القس طالبين حقهم في تقديم احترامهم قبل أن يصعدوا التل إلى بيت الدكتور ..

أغلقت المستشفى أبوابها في الستينات وبحلول عام ١٩٧٢م لم يعد هناك قائمة طويلة للمسؤولين الرسميين أو الشخصيات البارزة في زيارة الدكتور بصفتها أمراً من البروتوكول . ولكن حتى بالنسبة للقلة من الأصدقاء فالجمهور مازال كبيراً ومع ذلك لم يكن يجتمع في المنزل أكثر من اثني عشر شخصاً في المرة الواحدة . وبنهاية النهار يكون عدد الذين قدموا لتقديم احترامهم وتهنئتهم العربية التي تعادل عيد ميلاد سعيد أكثر من مئتي شخص . إن الأرقام وحدها تعطي انطباعاً مؤثراً ، وهذا بالطبع شاهد على الاحترام الكبير الذي تتمتع به البعثة وعائلة السكدرز . بالإضافة إلى كل ذلك فقد بدأت عائلة السكدرز في تقديم خدماتها الطبية عام ١٩٣٩ م وبالتالي فمن المتوقع أن يصبح لها عدد كبير من المعارف . إن وضوح الإحساس العميق بالإخلاص في تقديم التهاني بمناسبة العيد واتساع نطاق الجنسيات والأجناس والطبقات الاجتماعية الذين مثلتهم هذه الزيارة كان أكثر تأثيراً ، فقد كان معظم الزوار من

العرب الكويتيين فأحدهم سائق عربة إسعاف في الجيش جاء في زي أخضر مائل إلى الرمادي وكان هناك عدد من الشيوخ الكويتيين بعباءاتهم الطويلة ذات الحافات المذهبة كما حضر العديد من الإيرانيين والعراقيين وكذلك العائلات الهندية مع أطفالهم بألبستهم الزاهية وسلوكهم المنضبط .

وحدثت مصادفة غريبة في تلك السنة حيث وقع يوم عيد الميلاد في اليوم الثاني من شوال لذلك اتخذته عائلة السكدرز طرفة بأن كان من أيام حي القبلة فمقر البعثة كان بالفعل يقع في حي القبلة . لذلك كانت المصادفة واضحة . وفي ذلك المساء وبعد أن انتهى الدكتور سكدر من استقبال المهنئين بعيد الميلاد قاد سيارته إلى قصر الشعب لزيارة الشيخ سعد ابن أخي الحاكم ووزير الدفاع الحالي الذي كان يستقبل المهنئين بالعيد في غرفة الاستقبال في قصر الشعب . هذه الغرفة دائرية الشكل وضخمة ويغطي أرضيتها السجاد الأخضر الحديث ذو الوبر السميك وصف حول الغرفة كنب فارهٌ . وعلى العكس من غرفة المعيشة ذات الجو غير الرسمي والمتواضع في منزل الدكتور سكدر فإن هذه الغرفة كانت مهيئة ومضاءة وخافتة . لقد كان من الواضح أنها مكان معد للعمل . عندما وصلنا كانت المقاعد كلها مشغولة ولكن قام ثلاثة رجال تاركين لنا مكانهم وكنا الوحيدين

الذين يرتدون اللباس الغربي من بين الخمسين شخصاً الذين كانوا في القاعة . وقد جعلني هذا الأمر أشعر بقليل من عدم الارتياح وأنا أتبع الدكتور سكودر عبر السجاد الأخضر السميك لأحيي الشيخ العظيم . وبعد انتهاء السلام الرسمي أخذنا مقاعدنا وعندها أخذ الدكتور سكودر في الحديث بتبسط. واتوقع أن الحديث كان حول المخططات الحالية لتوسعة المستشفى العسكري الكويتي الذي تقلد الدكتور سكودر إدارته عدة سنوات . وبعد تبادل التحية مع بعض الحاضرين وتناول فنجانين من القهوة (العادة تناول فنجانين على الأقل وليس أكثر من ثلاثة) . وبعدها استأذنا ورجعنا إلى مقر البعثة عبر شوارع الكويت الخالية .

كان اليوم إجمالاً يوماً ساحراً لاينسى ؛ لذلك عملت في الأيام التالية المتبقية لي في الكويت على التعرف أكثر وأكثر على آل سكودر وعلى البعثة العربية محاولاً الإجابة عن بعض التساؤلات من مثل : لماذا جاءت عائلة السكدر إلى الكويت ؟ وكيف وصلت إلى هذه المكانة الفريدة من الثقة والاحترام في المجتمع الكويتي ؟ إن ما تعلمته من الحديث (الدردشة) مع عائلة السكدر وعيد الميلاد ذاك في الكويت ، ومن قراءة الأوراق والمذكرات التي أعاروني إياها كان كافياً لإثارة رغبتي

في طلب المزيد . وفي خلال السنوات القليلة التالية قمت بمقابلة أكبر عدد من المنصرين الذين مازالوا يعملون في الخليج وزرت المقرين الباقيين للتنصير في البحرين ومسقط وناقشت تاريخ البعثة وطموحاتها مع السيدة روز نايكرك Rose Nykerk سكرتيرة البعثة في البحرين .

هناك تاريخان للبعثة أحدهما يتصف بأنه غير تخصصي ولكنه تجميع مفيد للمعلومات قام بكتابته اثنان من المنصرين في العشرينات بعنوان « تاريخ البعثة العربية » وهما القس إي . د ماسون A.D. Mason والقس إف جي بارني F.J. Barny (نيويورك : ١٩٢٦) . أما الآخر فمتحيز جداً وهو غير محظوظ منشور كتبه منصر آخر في الخمسينات لتحديث العمل الذي قام به كل من ماسون وبارني بعنوان :« تاريخ البعثة العربية ١٩٢٦ ـ ١٩٥٧ » بقلم : دوروثي فان إس Dorothy Van Ess . وبالرغم من النقص الواضح في التحليل الجيد لعمل البعثة فقد كان هناك ثروة من المادة الوثائقية في صور رسائل المنصرين وتقارير ميدانية تبدأ من عام ١٨٨٩ . وبعد عودتي إلى أمريكا عام ١٩٧٤ زرت أرشيف الكنيسة الإصلاحية الأمريكية في معهد نيوبرونزويك اللاهوتي لدراسة هذه التقارير ولأطلع على مذكرات العديد من المنصرين التي

أصبحت مطبوعة الآن . إن دراستي هذه إنما هي نتيجة خبرة شخصية ومقابلات وبحث وثائقي ، وإنها تقدَّمُ هنا بصفتها مساهمة متواضعة لشرح ماأشعر أنه أحد الفصول الفريدة جداً في قصة العلاقات بين الثقافات المختلفة في الشرق الأوسط والغرب .

نيوبرونزويك ، نيوجرسي

٢٢ فبراير ١٩٧٧ م .

الفصل الأول

ضيف الله والرواد الأوائل
(١٨٨٩ - ١٩١٤)

ضيف الله والرواد الأوائل
(١٨٨٩ ـ ١٩١٤)

شهد القرن التاسع عشر ذروة التوسع والاستعمار الغربيين فتحت حماية السلام البريطاني واستخدام القوة الاقتصادية الحديثة للثورة الصناعية استطاع الغرب أن يوسع دائرة نفوذه بعمق في أفريقيا وآسيا والقارة الهندية . لقد سار المكتشفون والتجار والجنود والمنصرون معاً من فتح إلى فتح . ومن الصعب أن نحدد : هل التجارة تلت الاحتلال (الراية) أو أن الاحتلال كان مجرد مرافق لمعظم التجار المستثمرين . ولكن ليس من شك في أن التوسع الاستعماري كان له وجهان اقتصادي وسياسي . وكان النشاط التنصيري جزءاً أساسياً من هذا التوسع الأوروبي وبنهاية القرن التاسع عشر كانت دوائر النفوذ السياسي الغربي قد ثبتت من نهر اليانقتزي إلى النيل ، وأصبحت لندن هي عاصمة العالم المالية ووضعت أسس البعثات التنصيرية من تايبيه إلى دكار .

ومع أن الشرق الأوسط المسلم قد تأثر إلى درجة كبيرة بهذه التطورات من النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية

إلا أنه بقي بعيداً عن نشاطات البعثات التنصيرية ذلك أن ثباته على عقيدته واعتزازه بتراثه الثقافي جعله أقل عرضة للتأثر من المناطق الأخرى من غير العالم العربي بالبعد الثقافي للهجمة الاستعمارية الضارية . بالطبع إن جهوداً تنصيرية قد بذلت فالجمعية التنصيرية البريطانية قد أرسلت مجموعة من خمسة منصرين إلى مصر عام ١٨١٨ (١). كما قام المجلس الأمريكي للبعثات التنصيرية الخارجية بتأسيس مدرسة في القسطنطينية (استنبول) عام ١٨٣١ .ولعل ما عمله المجلس الأمريكي من بدء العمل التعليمي في سوريا ولبنان أكثر أهمية ذلك أنه أدى إلى تأسيس الكلية البروتستانتية في بيروت . ولم تكن نتيجة أي من هذه الأعمال إدخال عدد ذي أهمية إلى النصرانية بل كانت معظم النشاطات ـ على أي حال ـ موجهة إلى الأقليات النصرانية الموجودة هناك وليس تجاه السكان المسلمين (٢) .

---

(١) Stephen Charles Neil , Christian Mission : Pelican History of the Church vol. 6 (Grand Rapids, 1964) P.3

يقدم نيل تاريخاً موجزاً ممتازاً للنشاط التنصيري حول العالم وتحليلاً عميق لقادة المنصرين الذين صاغوا الايدلوجية التنصيرية الفكتورية . الصفحات ٢٤٣ ـ ٤٥٠ .

(٢) James A . Field , America andthe Mediterranean World,1776-1882,(Princeton, 1969) Chapter VI

تشبه بعثة القسطنطينية تقريباً كل نشاطات المجلس في الشرق الأدنى في أنه كانت مهمته ليس لمجتمع المسلمين ولكنها خاصة بالكنائس النصرانية . ص ١٧٧ .

وهكذا وبنهاية القرن التاسع عشر ظل الشرق الأوسط بأكمله وبخاصة الجزيرة العربية الميدان المتبقي الأخير في خريطة العالم للجهود التنصيرية .

وليس من المستغرب إذن أن يجتمع نفر قليل من المنصرين الأمريكان في نيوجرسي New Jersy في المعهد اللاهوتي بمدينة نيوبرونزويك New Brunswick ليؤسسوا البعثة العربية ويكون هدفها هو التالي :

« إن هدف البعثة بناء على خطتها الأصلية هو الدعوة إلى النصرانية في البلاد العربية . ويجب أن نبذل جهودنا مباشرة بين المسلمين ومن أجلهم ومن ضمنهم الأرقاء . ستكون طريقتنا الرئيسية الدعوة وتوزيع الأناجيل والقيام بالجولات التنصيرية والعمل التعليمي إن هدفنا هو احتلال وسط الجزيرة متخذين الساحل قاعدة »[١] .

لم تشجع الجمعيات التنصيرية القائمة هذه البعثة الوليدة تشجيعاً كبيراً[٢] ، ولكن مؤسسيها استطاعوا جمع أموالٍ

---

(١) Alferd De Witt Mason and Frederick J. Barny , History of the Arabian Mission (New York 1962) P.196

(٢) لم تحصل البعثة العربية على اعتراف الكنيسة الاصلاحية الأمريكية بها إلا في عام ١٩٢٤ وذلك بضمها لمجلس البعثات الأجنبية الخارجي. المرجع نفسه الصفحات ٢٣٣ ـ ٢٤١ .

كافية لبدء العمل بطريقة متواضعة . وبعد سنتين وفي عام ١٨٩١قام كل من صموئيل زويمر Samuel Zwemer وجيمس كانتن James Cantine وهما اثنان من الأعضاء المؤسسين بافتتاح مقر للبعثة في مدينة البصرة في العراق حيث يلتقي دجلة والفرات ليصبا في الخليج .

لم تكن الأيام الأولى في البصرة أياماً سهلة بيد أن زويمر كان من النوع من الرجال الذي لاتثبط عزيمته بسهولة . قام زويمر بتنظيم الطقوس الدينية بمساعدة كل من كانتين وطبيب اسمه شارلز إي رقز Charles E.Riggs على متن السفن الأجنبية في المرفأ ثم قليلاً قليلاً في المدينة نفسها [١] .

---

(١) Samuel M . Zwemer , Field Reports of the Arabian Mission, no.1, Januery - April 1892 (NewYork,1892) P.3

قامت البعثة بإصدار تقرير ربع سنوي وهو عبارة عن ملخص لـ « أخبار البعثة ورسائلها » « يقتصر توزيعه على أصدقاء البعثة العربية » هذه التقارير الفصلية كان يتم نشرها من قبل الكنيسة الإصلاحية الأمريكية في نيويورك من ١٨٨٩ - ١٩٠٢(الأعداد ١ - ٤٠)وقد ظهرت تحت العنوان « تقارير ميدانية من البعثة العربية » . ومن ١٩٠٢ إلى ١٩٤٩ (الأعداد ٤١ - ٢١٥) ظهرت تحت العنوان « الجزيرة العربية المهملة » . ومن ١٩٤٩ حتى ١٩٦٢ (الأعداد ٢١٦ - ٢٥٠ تحت عنوان « البلاد العربية تدعو » من المتوقع أن مئات من النسخ قد أرسلت بالبريد . =

وفي يوم ٢٨ مارس افتتح الدكتور رقز مستوصفاً في البصرة وعالج في الأيام الثلاثة الأولى عشرين مريضاً .[١] وفي هذه الأثناء قام المنصرون بتوزيع مطبوعات دينية وفتحوا مكتبة صغيرة بالقرب من الميناء لبيع الأناجيل باللغة الانجليزية والعربية . وتم القيام بعدة رحلات قصيرة في داخل العراق ، ولكن لم يثبت أن أياً منها كانت مثمرة جداً . [٢]

لم يمض وقت طويل بعد وصول المنصرين حتى أدركوا صعوبة الطريق أمامهم وذلك حين أمرهم الحاكم التركي بمغادرة البصرة . بيد أن زويمر حصل أخيراً على تصريح بالبقاء شريطة أن يقوم بالوعظ والطقوس النصرانية فقط للغرباء وهو وعد لم يلتزم به حرفياً [٣]. وأصاب الإحباط زويمر نفسه بسبب قلة

= وهناك ملف كامل لهذه المطبوعة في مكتب المجلس للبعثة العالمية ، الكنيسة الإصلاحية الأمريكية وعنوانها RCA,475 Riverside Drive, New York. وثمة ملف آخر في أرشيفات الكنيسة الإصلاحية الأمريكية في مكتبة قاردنر إي ساج Gardner A. Sage في المعهد اللاهوتي في مدينة نيوبرونزويك نيوجرسي New Brunswick,N.J. وسوف تتم الإشارة إلى هذه الرسائل والتقارير ببساطة لما يلي :

« العربية المهملة » رقم ٢١٥ شتاء ١٩٤٩ .

(١) المرجع السابق ص ٥

(٢) المرجع السابق ص ٤

(٣) التقارير الميدانية للبعثة العربية رقم٢، أبريل ـ يونية ١٨٩٢م ، ص ١٠ .

الاستجابة للبعثة وكتب متحسراً على الحقيقة بأن « الجهل بالمسيح والمسيحية بين الطبقات الدنيا لايمكن تخيله »[1] .

وقد أجبر المنصرون على التسليم بأن : « الدعوة في شوارع البصرة سيكون أمراً غير حكيم وضار بأي عمل في المستقبل »[2] وذلك بعد أن قامت السلطات المحلية بضرب أحد مساعدي البعثة من المواطنين . ولكن كان هناك جانب مشرق لهذه المسألة وهو التجاوب مع العمل الطبي والتعليم غير الديني فبينما لم يُقبل أحد على النصرانية وكانت مبيعات الانجيل في أدنى حد إلا أن المرضى جاؤوا إلى مستوصف الدكتور رقز أفواجاً ، وعبر كثير من العرب عن رغبتهم الحقيقية في تعلم الانجليزية والازدياد من المعرفة بالتقدم التقني في الغرب . كان المثال الذي قدمته جمعية الكنيسة التنصيرية بتأسيسها مقراً لها في بغداد عام ١٨٨٣ والقبول الذي لاقته من خلال مستشفاها ومدرستي الأولاد التابعة لها في بغداد والموصل[3] مشجعاً لزويمر لاتخاذ قرار بالتحول من التركيز على التنصير في البصرة

---

(١) التقارير الميدانية رقم ٢ ص ٨ .

(٢) التقارير الميدانية رقم ٤ ، اكتوبر ـ ديسمبر ١٨٩٢ الصفحات ٥ ـ ٦ .

(٣) Reverend Percy V. Boys,"Neglected Mesopotamia"in Neglected Arabia,no.91 October-December 1914,PP19-20

إلى العمل التنصيري الطبي والتعليمي [1] وقد كتب زويمر حول « قوة هذه الطريقة ونجاحها في إبطال التعصب وايقاظ التعاطف في البلاد الاسلامية » قائلاً : « إن مستوصف جمعية الكنيسة التنصيرية في بغداد التي كان يديرها الدكتور ستون Sutton لدليل رائع على ذلك » [2].

سافر زويمر إلى البحرين في السنة التالية ١٨٩٢م ، والبحرين جزيرة تجارية صغيرة في الخليج على بعد عدة مئات من الأميال جنوب البصرة . وهنا مكث زويمر ثلاثة أسابيع وكان مندهشاً لأنه لم يجد صعوبة في الحصول على تصريح بالإقامة ، ومرة أخرى وبالرغم من تمكنه بيع أربع وأربعين نسخة من الإنجيل إلا أنه وجد نفسه مقبولاً بصفته الطبية التنصيرية أكثر من أي صفة أو مظهر آخر .[3]

« هذه الجزيرة التي يقطنها في ذلك الحين حوالي خمسون الفاً لم يكن فيها كلها طبيب واحد وكانت الشعوذة المحلية وحشية إلى أقصى درجة ، ففي المكان الذي يمارس فيه طب

---

(١) التقارير الميدانية رقم ٣ يوليو ـ اكتوبر ١٨٩٢ ص ٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٦ .

(٣) التقارير الميدانية رقم ٤ ، أكتوبر ـ نوفمبر ١٨٩٢م ص٧ ورقم ٦ ، أبريل ـ يونية ١٨٩٣م ، ص٥ .

الأسنان باستخدام الأوتاد والمطارق والملاقط ، وحيث كانوا يحشون الضرس المنخور بالرصاص المذاب ليخففوا الألم استطعت أن أكسب عدداً من الأصدقاء بطرق أقل ألماً »[1] .

وبالرغم من أن زيارة زويمر للبحرين كانت ناجحة جداً من عدة طرق وطمأنته إلى حد ما بعد تجربته غير المشجعة في البصرة إلاّ أنها أبرزت عدة مشكلات أساسية تواجهها البعثة . ففي المقام الأول لم يكن لدى زويمر تدريب طبي رسمي فقد أربكه تعقيد الحالات الطبية التي يجب أن تعالج وحجمها الضخم . فكانت هناك حاجة إلى أشخاص مدرّبين تدريباً طبياً مناسباً إذا كان يراد للعمل الطبي أن يستمر . وفي المقام الثاني أكدت تجربة البحرين الدرس الذي تعلمه من فشله في البصرة أن العرب كانوا غير مستعدين لاستقبال الدعوة إلى النصرانية بقدر ماكانوا متشوقين للبعثات التنصيرية الطبية . لقد أبعد اهتمام المنصرين بعملهم الطبي أكثر وأكثر عن عملهم الأساس وهو « الدعوة في الجزيرة العربية إلى النصرانية » .

كانت المشكلة الأولى هي الأسهل حلاً من بين المشكلتين وقد تمثل الحل في قيام جهد نشيط في أمريكا لتوظيف مجموعة من الأطباء والمرضين الضروريين ليقوموا بالعمل في

---

(١) التقارير الميدانية رقم ٨ ، اكتوبر ـ ديسمبر ١٨٩٣ ، ص ٥ .

برنامج طبي طموح . وبحلول عام ١٨٩٨ استطاعت البعثة أن تفتتح مستوصفاً يعمل وقتاً كاملاً في البحرين تحت إشراف الدكتور شارون تومس Sharon Thoms وزوجه . وبعد ثلاثة أعوام افتتحت البعثة أول مستشفى في البحرين وكان الأول في الخليج ، ووصل عدد المرضى المعالجين سنوياً في عام ١٩١٤ أكثر من (٢٣٠٠٠) مريض سنوياً في مستشفيات البعثة الخمسة في البحرين والبصرة والكويت ومسقط (كان هناك عيادتان منفصلتان في الكويت واحدة للرجال وأخرى للنساء [١] .

من المدهش أنه لم تكن هناك صعوبة في قبول البعثة الطبية لقد سمح الأزواج الحذرون الغيورون أن تعالج نساؤهم المحجبات حجاباً كثيفاً . كما تقبل المرضى العرب بروح راضية التعليمات الصحية الجديدة وغير المألوفة لديهم .[٢] ومما يدعو للدهشة أكثر أن النساء المنصرات من طبيبات وممرضات أو زوجات رجال البعثة قد وجدن القبول سواءً بصفتهن طبيبات

---

(١) Mason and Barny" ,OP,cit., ChapterVllandVlll,PP107-166.

(٢) Sharon Thoms," the Hospital at Bahrain" in Neglected Arabia, no. 44, October - December 1902 P.13

أوصديقات في مجتمع من المتوقع أنه يعيش حياة منعزلة .[1]

---

(١) انظر أيضاً تقارير سابقة قدمتها الليناور كالفرلي
Eleanor Calverly, My Arabian Days and Nights: Medical Missionary in old Kuwait (New York, 1958)
مفهوم الإسلام لدور المرأة في المجتمع ليس مفهوماً بسيطاً فبينما يحتفظ الغربيون بصورة « الحريم المحروس بسبب الغيرة » وحجاب الوجه الأسود الكثيف التي تحمل بعض الحقيقة إلا أن الاسلام قد سمح بنسبة معينة من الحرية لبعض النساء في أدوار معينة : فالمرأة البدوية مثلاً لاتتمسك تقليدياً بالحجاب وعملت خارج المنزل مع زميلها الرجل ترعى الحيوانات أوتنصب الخيام ويشبهها في ذلك بعض النساء في المدن اللاتي يعملن في رعاية الأمومة وأعمال طبية أخرى هؤلاء النسوة كان لهن حرية الحركة وحدهن في المجتمعات الإسلامية الأكثر التزاماً وإن كن غالباً من السود أو من غير المسلمات ولم يكنّ مطلقاً من المسلمات السنيّات أو العرب الأقحاح . اما بالنسبة لنساء الطبقة العليا أو المتوسطة (كنساء البعثة) فقد كانت مشاركتهن في مهنة من المهن وتحركهن بحرية تعد تطوراً جديداً . وكذلك كانت فكرة النساء المدرسات أو أن تتعلم المرأة القراءة والكتابة (كما فعلن في مدارس البعثة) . وفي الوقت نفسه يجب علينا أن نتذكر بأن أوائل النساء المنصرات يجب عدّهن استثناء حتى بالمقياس الغربي في أوائل القرن العشرين . فكم عدد النساء اللاتي دخلن معاهد الطب في أيام الليناور كالغرلي ؟ وكم من هذه القلة من كانت ستختار أول ممارسة لها في مدينة قاسية وصعبة كالكويت .
وهكذا يجب النظر إلى التجربة التنصيرية بأنها قفزة حقيقية في اتجاه معركة حركة « تحرير المرأة » ليس فقط في الشرق الأوسط ولكن في الغرب كذلك .
(ينبغي الانتباه هنا إلى أن عمل المرأة البدوية في الرعي ومساعدة الرجل وعدم =

وما أن حل عام ١٩٠٢ حتى كان الدكتور تومس Thoms قد قدم تقريراً يوضح فيه بأن نجاح البرنامج الطبي قد أرسى دعائم الثقة والاحترام للبعثة حتى البصرة التي اتسمت بالشك وعدم كرم الضيافة . فقد تم معالجة أكثر من سبعة آلاف مريض فيها في الفترة من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٢ كما تم إجراء ٤١ عملية جراحية تحت التخدير [١] .

وكتب الدكتور تومس عن محطة العراق بأن « التعصب سرعان مايذوب ، إن الشيوخ أنفسهم أصبحوا يعتقدون بأن العمل الصحيح أن يعالجهم طبيب البعثة »[2] .

= االتقيد الشديد بالحجاب أمر تفرضه طبيعة حياتها مع الالتزام بالعفة والطهارة كذلك ما تفعله المرأة في المجتمعات الزراعية . فهذا ليس اختلاطاً بالمفهوم الغربي أما ماأشارت إليه من خروج بعض النساء لمهنة التوليد فهو أيضاً مقتصر على مجتمع النساء فليس فيه اختلاط . وقولها إن النسوة لم يكن غالباً من السنيات أو كن من السود فالاسلام لايفرق في تشريعه بين هذه وتلك . وبالنسبة للتعليم فقد كان الجهل مسيطراً على الرجل والمرأة على حد سواء والاسلام يأمر بتعليم الجنسين) . (المترجم)

(١) Sharon A. Thoms," Six Months in the Bahrain Dispensary" in Neglected Arabia, no.43,July- September 1902,P.3.

(٢) المرجع السابق ص ٤ .

كانت لحظة وضع حجر الأساس لمستشفى لانسنق التذكاري في البصرة Lansing Memorial Hospital لحظة فخر لأولئك الذين يذكرون بداية محطة البصرة المشؤوم قبل تسعة عشر عاماً عندما أمر الوالي المنصرين بالمغادرة . فقد كتب القس جي جى بننق G . J . Penning في التقرير ربع السنوي الذي تصدره البعثة كتب بحماسة حول مئات الأعيان الذين حضروا الحفل وكان من بينهم وكيل النقيب ورئيس البلدية والملالي والمعلمون والموظفون الرسميون وملاك الأراضي الأقوياء « كان يجلس في المنصة الوالي وقائد الجند وقائد السفينة الحربية وعبد الرحمن باشا . ألقى الباشا خطاباً باللغة التركية عبر فيه عن سروره البالغ في المشاركة في وضع حجر الأساس لبناية تشيد لهذا الغرض . كما عبّر عن تقديره لعمل الأطباء وآماله الكبيرة بنجاح المستشفى وفائدتها »[1] .

تأثر الشيخ مبارك أمير الكويت بما رآه من أطباء البعثة في العراق تأثراً بالغاً مما جعله يدعو الدكتور آرثر بنت Dr Arther Bennet عام ١٩١٠ للحضور إلى الكويت ليؤسس

---

(١)
Reverend Gerrit J. Pennings," Laying the cornerstone of the Basrah Hospital", in Neglected Arabia, no. 73, April - June 1910, PP.6-9.

فيها مستشفى .[١]

وأرسل حاكم الكويت قاربه الخاص لنقل المنصرّين وقدّم لهم الأرض ومواد البناء للشروع في بناء المستشفى .[٢] ومع ذلك فقد بدأ العمل في مستوصف للنساء في الوقت الذي شُرِع العمل في بناء مستشفى مناسب فرغ العمل فيه عام ١٩١٥ .

كذلك وجدت مدارس البعثة جمهوراً متفتحاً وبخاصة للغة الإنجليزية والعلوم . فبدأت مدرسة للأولاد الصغار في البصرة عام ١٩٠٤ ، وتلاها بعد فترة وجيزة مدرسة أخرى في البحرين وفي مسقط أنشأ بيتر زويمر Peter Zwemer مدرسة صغيرة في مسقط لتعليم الأيتام الذين أنقذهم من سفينة للعبيد استولى عليها البريطانيون . وقد استمرت هذه المدرسة في النمو وكان

---

(١)

Kuwait Ministry of Guidane and Information, Kuwait Today: a Welfare State (Nairobi, 1963,p. 41 and Mrs.Dorothy B. Scudder, "The Beginnings of Medical Work in Kuwait,"an address presented, to the Family Development Society of Kuwait on 4 April 1967 at th Kuwait Sheraton ,as part of a seminar entiteled , " The Futre of Medical Servicec in Kuwsit, " p.1. (RCA Archives, New Brunswick).

(٢)

Reverend Gerrit J.Pennings," Work at Kuwait Reopened," in Neglected Arabia, no.74, July - September 1910, pp. 11-14.

الحضور في هذه المدارس كبيراً ومنتظماً حتى إن جمهوراً كبيراً يضم وزير الشيخ حضر حفل التخرج في البحرين عام ١٩٠٧.[1] كانت دروس اللغة الإنجليزية مرغوبة جداً وما أن حل عام ١٩٠٨ حتى كان خمسة من أعضاء الأسرة المالكة يدرسون في مدارس البعثة.[2] وفي عام ١٩١٢ ازداد عدد الطلاب في البصرة مما دعا إلى إنشاء مدرسة أخرى . وقد أسست المدرسة التي أطلق عليها اسم ذو مغزى وهو مدرسة الآمال الكبيرة .

أصبح النجاح الواضح لعمل البعثة التعليمي والطبي إذا ماقورن بفشلها في مجال التنصير سبباً في أزمة ضمير شديدة . لقد أصاب زويمر القلق حول هذه المشكلة في البحرين منذ البداية وأصر بعنف على وجوب دفع العمل الديني إلى الأمام رغم كل المعارضة . وقد كتب عام ١٨٩٣ يقول : « إن الاعتراض على وجودنا في البحرين مازال يتركز حول مكتبتنا الإنجيلية ، وهذا

---

(١)
Reverend Frederick J. Barny,"Bahrain Parish Letter," in Neglected Ararbia, no. 67, October-December,1908,p.7.

(٢)
" Educational Work, Bahrain, 1908," in Neglected Arabia no.69, April - June 1909, p.10.

مؤشر أكيد بأن هذا الجزء من عملنا يجب دفعه بكل ما نستطيع وأن كلمة الله فوق كل ثمن »[1].

وكان جيمس كانتين أيضاً مصراً بالدرجة نفسها على الهدف الأول للبعثة وحتى عام ١٨٩٧ مازال جيمس يكتب بيأس من البصرة قائلاً : « من الخزي والحزن أن نتائج عملنا الروحية قليلة جداً »[2].

وبينما اكتسب المنصرون قبولاً أكثر بصفتهم أطباء ومعلمين لم يجدوا لعملهم الديني إلا قبولاً قولياً . هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن المضيفين العرب قد أحبوهم فعلاً ووثقوا بهم بوصفهم رجال دين بالرغم من أنهم لايشاركونهم معتقداتهم الدينية ، فقد دعا محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى التسامح مع النصارى واليهود لأنهم « أهل كتاب » . وكان هناك سابقة إسلامية بأن يكون الطبيب (الحكيم) رجلاً متعلماً وعارفاً بالدين . فلذلك ليس هناك تناقض مع الفطرة في قبول العرب

---

(١)
Samuel M. Zwemer in Field Reports, no 8, October - December, 1893, p.5.

(٢)
James Cantine, Basrah and Bahrain," in Field Reports, n 22, April-June 1897, p.6.

لزويمر (الذي أطلقوا عليه تحبباً لقب ضيف الله) بأنه معالج ومنصر دون الخضوع لدعوته للنصرانية . أما الدكتور شارون تومس ذو الخلفية الملتزمة أكثر فقد وجد صعوبة أكبر في فهم هذا التسامح الديني الظاهر (نفاق) ووصفه بانزعاج في إحدى رسائله قائلاً : « يقوم السيد زويمر عموماً بالوعظ كل صباح بانتباه متزايد واهتمام واضح إن لم نقل بإيمان راسخ ، والمرضى عادة ما يصدقون الكلمات التي يستمعون إليها ، لكنني متخوف أن معظم الأسس غير القوية هي أسس غير ثابتة »[١].

بالرغم من أن فرص التنصير بدت مشجعة ولكن البرهان على النجاح في هذا المجال كان ضعيفاً وكان على المنصرين أن يسألوا أنفسهم إذا ماكان عملهم الطبي والتعليمي بدون التنصير له مايبرره . وماأن وضع السؤال بهذا الشكل حتى وجد معظم المنصرين أنفسهم مجبرين على الإجابة بالنفي . وقد ظلت المناظرة حول هذا السؤال في المجالس التنصيرية تظهر وتختفي

وقد حدد جون فان إس John Van Ess ، الباحث المعروف في الشؤون العربية هذه المشكلة للبعثة في الجزيرة في رسالة

---

(١) Sharon J. Thoms " Six Months in Bahrain Dispensary," in Neglected Arabia, no. 43, July - SEpt.1902, p.4

كتبها عام ١٩١٣ قال فيها :

« لماذا نحن هنا ؟ لأنه هنا يتنكر لمملكة المسيح ويغتصب .لأي شيء نحن هنا ؟ لنعيد المَليكَ إلى عرشه . وكل ما عدا ذلك فأمر مساعد وثانوي . إنما هو وسيلة للهدف . إذا كان هدف الطبيب والمستشفى في مجال كمجالنا هو لتخفيف آلام الجسد ، فهذا الهدف عائق وليس مساعد لأن الأعمال المجيدة هي الأساس في محاربة الإسلام ولانتحمل ثمن دعم هذه الفكرة . فالمدرسة مهما كانت مجهزة في بلد مثل هذا فهي أسوأ من أن تكون غير ذات قيمة إذا كانت تثقف العقل لأنها تنتج متعلمين أوغاد يأخذون عيوبنا ويشوهون فضائلنا لدينا مستشفيات ممتازة ونحن فخورون بأطبائنا.ونحن في الطريق ليكون لدينا مدارس جيدة نحن ندفع كلا النشاطين ولكن كوسيلة لغاية لجعل المسيح ملكاً »[١].

وبعد أن انقضى ربع قرن على بدء عمل البعثة وجدت البعثة أن لديها الكثير من الإنجازات التي تفخر بها وكذلك كان هناك الكثير مما يدعو إلى القلق . فمن مجموعة مكونة من ثلاثة منصرين حديثي عهد بهذا العمل ولاخبرة لهم نما عدد أفرادها بصورة غير عادية ، فوصلوا إلى أربعة وعشرين منصراً يسيّرون خمس محطات ويقومون بالزيارة لثلاث محطات خارجية

---

(١)

John Van Ess, " What Are We Here For? " in Neglected Arabia, no, 86, July - September 1913, p.17.

شبه دائمة ، وهناك أكثر من مئتي طالب يدرسون في مدارس البعثة الثماني ، وهناك أربع مكتبات توزع الإنجيل والكتب الثقافية والدعائية الدينية باللغتين الإنجليزية والعربية ، وأكثر من ثلاثة وعشرين ألف مريض يعالجون كل سنة في مستشفيات البعثة الخمسة وفي مقابل هذا السجل المؤثر لإنجازات البعثة يجب وضع السجل المؤلم للفشل التنصيري . لقد أوجد ضيف الله والمنصرون الرواد البعثة العربية للهدف السريع في تنصير الجزيرة ومع ذلك وحتى حلول عام ١٩١٤ لم يكونوا قد حصلوا إلا على عدد قليل جداً من المتنصرين ولم يبدوا أنهم أقرب إلى هدفهم عندما بدأوا . إن الجدال حول هذه المشكلة كما ركّز عليها جون فان إس كان يجب إثارتها مرة بعد مرة خلال الخمسين سنة القادمة .

ولكن في هذه اللحظة وجدت بعثة الجزيرة نفسها ، كما هي الحال في بقية العالم في مشكلة أعظم وكل شيء انهار بانفجار الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤ .

الفصل الثاني

البعثة العربية تبلغ سن الرشد
(١٩١٥ - ١٩٣٣)

البعثة العربية تبلغ سن الرشد
(١٩١٥ ـ ١٩٣٣)

كان حادث اغتيال ارشدوك فرديناند Archduk Ferdinand في سراييفو في أغسطس ١٩١٤ أحد الأحداث الفاصلة التي سيكون لها تأثيرٌ على مجرى تاريخ العالم . وعلى بعد آلاف الأميال في الخليج شعرت البعثة سريعاً بآثاره في الأجزاء المتبقية من الأمبراطورية العثمانية التي كانت تستعد لخوض الحرب بجانب ألمانيا ضد الاتفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا ، فما أن هبطت قوات الاستطلاع البريطانية في وادي الرافدين وتحرك اللنبي نحو القدس حتى أصبح لمستشفيات البعثة الخمسة أهمية جديدة . فبالإضافة إلى أهميتها القائمة لدى المجتمع الأهلي كدعاة للعلوم والطب الحديث فقد أصبح للأطباء الآن أهمية تتعلق بمساندتهم للجهود الحربية وذلك بالاهتمام بآلاف الجرحى من الجنود العائدين من الجبهة . وبناءً على تقارير البعثة فإن مستشفى لانسنق التذكاري Lansing Memorial بالبصرة قد ازدحم بجنود أتراك بصفة خاصة وذلك

بحلول ربيع عام ١٩١٥ .[١]

وبالرغم من أن القوى الغربية ، بريطانيا والولايات المتحدة بصفة خاصة ، نظروا إلى مواقع البعثة الخارجية على انها جزء من مجهود الحلفاء الحربي ـ وهذا نوع من الخطوات الاحتياطية الإمبريالية ـ وأنها محاصرة وتنتظر الإغاثة . أما المنصرون أنفسهم فقد حافظوا على حياد سياسي قوي إن لم يكن عاطفياً أيضاً خلال الحرب ، فالجرحى من الجنود الأتراك عام ١٩١٥ تلقوا عناية فائقة وخبيرة كتلك التي تلقاهانظراؤهم من البريطانيين بعد ثلاث سنوات .[٢] والمنصرون بعد ذلك حتى لوكانوا يميلون إلى موقف الغرب إلا أن وجودهم في الخليج ليس لخدمة الغربيين ولكنهم جاؤوا فقط للعمل مع العرب ولأجلهم . لقد أصبحوا ينظرون إلى أنفسهم ومن عدة طرق إلى أنهم جزئيا عراقيون ، بحرينيون ، كويتيون ، أو مسقطيون .وكانوا يعانون بجوار هؤلاء الناس كلما امتدت أمواج الحرب مرة أخرى إلى

---

(١)
Dr. Arther K. Bennet, M.D. " Red Cross and Red Crescent work in Arabia" in Neglected Arabia no,93,April-June 1915,,PP.5-8.

(٢) من الجدير المقارنة بين دور مستشفى البصرة في أوائل العشرينات وبين دور مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٧٦ حيث عالج الأخير كلا الجانبين في الحرب الأهلية اللبنانية .

مواقع الحرب القديمة في الشرق الأدنى .

وبالرغم من حقيقة موقف البعثة الذي يميل إلى تأييد الجانب الرابح في الحرب العظمى إلا أنها لم تقم بأي عمل يناقض موقفها في الخليج . ومع أن البعثة لم تكن نشطة في المطالبة فقد كانت هناك تحركات واضحة من جانب الحكومات الأمريكية وبصورة أخص البريطانية لتأييد نشاط البعثة ، فقد كان يتم إيصال الإمدادات الغذائية والدواء كجزء من الشحنات الحربية ، كما نقلت السفن الحربية التي ترددت إلى موانىء الخليج البريد والطرود . ومن الجدير بالذكر أنّ الذين سيصبحون فيما بعد في شك من النشاطات التنصيرية في مسقط بأنها نشاطات أمريكية (وبالتالي غير بريطانية) .[1] يبدوأنهم تبنوا البعثة كأنها بعثتهم في سنوات الحرب .وحتى اليوم ماتزال البعثة العربية تحافظ على روابط جيدة مع الممثلين الدبلوماسيين البريطانيين والأمريكان في الخليج .

ومع اقتراب نهاية عام ١٩١٦ قام المقيم البريطاني في الخليج والقنصل العام في البصرة سير بيرس كوكس Percy Cox

---

(١) مكتبة السجلات في المكتب الهندي

India Office Library of Records, Orbit House,Black Friar 's Road London . Arabian Correspodence.See especiallyno. R/15/3/3/2&3

حيث تناقش هذه التقارير دور الدكتور تومس في مسقط .

بوضع سفينة من البحرية الملكية يطلق عليها إتش إم إس كليو HMS Clio تحت تصرف البعثة لحمل القس وليام آي شامبرلين William I . Chamberlin الذي كان يعمل حينئذ سكرتيراً خارجياً للبعثة العربية في نيويورك وكذلك الدكتور ستانلي جي مايلريا Stanely Mylrea في جولة حول محطات البعثة المختلفة في الخليج (١).

وبالرغم من أن البعثة العربية كانت حريصة دائماً على عدم تدخل أي جهة أجنبية لتمثيلها أو تنوب عنها سواء من السلطات البريطانية أو الأمريكية (١) إلا أنها لم تستطع أن ترفض هذه اللمحات الكريمة والتي تنبىء عن حسن نية مما أدى إلى إعطاء تسهيلات آمنة وسريعة لزوارها الرسميين .

---

(١)
Reverend W.I. Chamberlain," A Tour in the Persian Gulf " in Neglected Arabia, no 100 Jan-Mar.1917,P.P.3-11,and C.S.G. Mylrea, Kuwait before the Oil (unpuplished manuscript in the RCA Archives, NewBrunswick), PP.80-82.

(٢) اختلف المنصرون البروتستانت في الجزيرة العربية عن منصري القرن التاسع عشر في شرق البحر المتوسط في هذا المجال فبينما عرّض الأخيرون أنفسهم للضغوط العسكرية والدبلوماسية في أوطانهم عندما احتاجوا لتحقيق أهدافهم ، ولكن البعثة العربية أصرت منذ البداية أن تعتمد على قدراتها ولم تحاول أن تؤثر في السياسة الأمريكية الخارجية . وبالرغم من أن السفن الحربية البريطانية

=

وشبيه بهذا موقف حكام الخليج الذين تلاءموا مع وجود المنصرين كجزء من الواقع المحلي ولم يعودوا يعاملونهم على أنهم غرباء تماماً لكنهم لم يفلتوا من التأثر بمظاهر القوة لدى المنصرين حينما أصبحوا تحت حماية بنادق البحرية الملكية البريطانية .

وهكذا ومن عدة طرق خرجت البعثة العربية من الحرب الأولى وقد ازدادت قوة حيث استطاع المنصرون تخفيف آلام الجنود الجرحى من كلا الجانبين خلال الحرب ، وأظهروا فائدتهم العملية لكل من العرب والغربيين . وبازدياد وعي القوى الغربية بأهمية الخليج العربي اقتصادياً وجغرافياً فقد خرجوا عن

= والأمريكية استخدمت أحياناً من قبل البعثة لايصال الإمدادات أو البريد فقد كان هذا هومدى ماوصلت إليه مساهمتهم . ومن جهة أخرى ففي البحر المتوسط فقد احتفظت الولايات المتحدة بأسطول مكون من ست سفن حربية من الفرقاطات في أوائل القرن التاسع عشر متخذة من بورت ماهون في منوركا قاعدة لها . وذلك من أجل الإسراع في تأييد المنصرين وحماية المصالح التجارية الأمريكية وتشجيع التبادل الدبلوماسي .

انظر :

James A.Field,op,cit., PP.176-213.andJoseph L.Grabill, Protestant Diplomacy and thje NearEast Missionary Influenceon American Policy,1818-1927 (Minneopolis,1971)

طبيعتهم وأخذوا يؤيدون النشاط التنصيري[1] . وربما كان أعظم أثر لإخراج الإمبرطورية العثمانية ، وتثبيت البريطانيين في العراق ، وشرق الأردن والفرنسيين في سوريا ،أن الحرب وضعت حداً لقرن ونصف من عزلة الشرق الأوسط . وأصبح من المستحيل على المجتمعات الإسلامية أن تواصل إهمال التغيرات الضخمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تهز العالم الغربي . أما أمريكا فقد كان ينظر إليها بصفة خاصة على أنها بطلة المبادىء الديموقراطية الحديثة والتطور . فـ : ودرو ولسون Woodrow Wilson الذي تنكرت له بلاده فيما بعد كان يلقى ترحيباً واسعاً في شوارع باريس عندما وصل إليها لحضور مؤتمر باريس للسلام مستأثراً بالعناوين الرئيسة في صحف العالم . لقد ظلت أمريكا تتسنم مكاناً عالياً في نظر الجماهير في الشرق الأوسط وغيره من دول العالم الثالث لأنها كقوة منتصرة لم تحاول أن تكسب مستعمرات جديدة أو تسعى

---

(١) الفريق سير آرثر بارت K.C.B. Sir ArthurBarret قائد قوة الاستطلاع البريطانية قد قدم بناء على التقارير مبلغ أربعين الف روبية لمستشفى لانسنق ميموريالLansing Memorial Hospitria1 في البصرة عام ١٩١٦ تقديراً منه للخدمات الطبية التي قدمت للقوات البريطانية .

إلى كسب دوائر نفوذ في مؤتمر السلام . إن التأثير الإجمالي للحرب العالمية على حظوظ البعثة العربية لم يكن إيجابياً كما يمكن أن تقودنا هذه الصورة المشرقة للاعتقاد . فبالرغم من أنها أصبحت أقوى من الناحية المادية ومن عدة وجوه إلا أنها أضعفت بشكل سيء نتيجة للمشكلة الخطيرة . فحتى هذا الوقت كان المنصرون يفكرون ولوبعقلهم الباطن بأن جهودهم هي جزء من عملية قائمة ولا مفر منها لتحضير العالم وتطويره . لقد كان معروفاً بأن التحسن في النظافة وفي مستوى المعيشة وفي الاتصالات بأنها فضائل نصرانية في المجتمع العربي ونظر إليها بأنها مساندة لهدف البعثات التنصيرية النهائي وقد كانت التقنية الحديثة طريقاً إلى محاربة الجهل العلمي والروحي . ففي العقل الفكتوري Victorian B. في الحقيقة ، كان التفريق بين الجهل الروحي والعلمي ضعيفاً.وقد كتبت السيدة مايلريا Mrs Mylrea مرحبة باحتلال بريطانيا للبصرة عام ١٩١٨ مشيرة إلى تحسن الطرق والمواصلات والمستشفيات والمدارس بصفتها جزءاً من « الحضارة النصرانية » المزدهرة [١]. وهكذا كان المنصرون

---

(١)
Mrs. C.Stanley G. Mylrea, " AVisit to Basrah," in Neglected Arabia no107, Oct.- Dec.1918, pp.9-12. =

يقدمون « دواءً نصرانياً » وينشرون « المعرفة العلمية النصرانية » من خلال عياداتهم ومدارسهم وقد ظهر العالم الغربي أو « النصراني » موحداً في تأييده للقيم والأهداف « النصرانية » وجاء ت الحرب العالمية بتصارع دولة نصرانية مع دولة أخرى واضعة حداً لأسطورة الوحدة الغربية أو« النصرانية » وفي الوقت نفسه أجبرت كثيراً من المنصرين أن يشكوا للمرة الأول في جدية المجتمع الغربي الحديث بالتزامه بالنصرانية . وقد ورثت البعثة العربية في فترة مابعد الحرب أزمة ضمير أخرى وبدأت تشعر بأن حارس المؤخرة مهدد بالتغير في المجتمع الغربي .

ومع ذلك فقد انشغل المنصرون في عملهم الميداني اليومي من وعظ وعلاج وتعليم ولم يتبق لديهم وقت للتفكير في انهيار « الحضارة النصرانية » في موطنها . لقد ارتفع الإنتاج في السنوات التي تلت الحرب بصورة غير عادية حيث توسعت عملياتها في كل الميادين ، وقوت مكاسبها التي حصلت عليها بصعوبة فقد كانوا سابقاً مجبرين على العمل في منازل خاصة

= ويجب التنبيه هنا إلى أن الإسلام هو دين النظافة والتقدم والعمران والازدهار . ولكن بعد المسلمين عن دينهم أدى إلى دخول هؤلاء المنصرين واعلان هذه المزاعم الباطلة .(المترجم)

أوعيادات وبطريقة المناوبة ، أما الآن فهم قادرون على بناء المستشفيات الحديثة حسب الطلب وأصبح لديهم القدرة على شراء الأجهزة المتطورة . وفيما كان نشاط المنصرين في السابق يقتصر على بعض المدن الساحلية فهم الآن قادرون على إرسال بعثات عبر دجلة والفرات وإلى قلب الجزيرة العربية . لقد كانت الفترة من ١٩١٥ حتى ١٩٣٣ أعظم الفترات للتنصير المخطط والعمل الطبي . وحينما كانت مدارس البعثة قاصرة على عدد صغير من الطلاب وأحياناً لايواظبون على الحضور فمدارسهم الآن كبيرة ومزدحمة حتى درجة التشبع ومن الطلاب المنتظمين ذكوراً وإناثاً ومن كل الاعمار بحثاً عن المعرفة . لقد بلغت البعثة سن الرشد حقاً .

في بداية الحرب العالمية الأولى لم يكن سوى موقعين « محطتين طبيتين » من محطات البعثة تجد مقراً مناسباً وكانت مستشفى ماسون التذكاري Mason Memorial Hospital عندما تم إنجازه عام ١٩٠٢ في البحرين هو الأول في الخليج على الإطلاق .[١] وبعد تسع سنوات أتمت البعثة بناء مستشفى

---

(١)
S.J.Thoms," The Hospital at Bahrain " in Neglected Arabia no.44 Oct.-Dec.,1902,pp.12-16.

لانسنق التذكاري في البصرة .[1] وفي هذه الأثناء بدأ الدكتور س . إس . جي . مايلريا العمل في بناء مستشفى للرجال في الكويت يتم بناؤه من الإسمنت المسلح وهي مواد بناء غريبة ورائعة بالنسبة لمباني عرب الخليج في ذلك الوقت . انتهى العمل في بناء مستشفى الكويت عام ١٩١٥ .[2] وبعد أربع سنوات افتتحت البعثة مستشفى للنساء في الكويت .[3] وفي البحرين أقامت البعثة مستوصفاً للنساء سنة ١٩٢٤ وبدأت في تشييد مستشفى للنساء كتتمة لمستشفى ماسون التذكاري وتم انجاز ذلك سنة ١٩٢٦ وأقيمت حينها احتفالات كثيرة في افتتاح مستشفى ماريون ولزتومز التذكاري Marion Wells Thoms Memorial Hospital الذي كان ينتظر افتتاحه حشد من من النساء البحرينيات المنتظرات وفي البصرة بدأ مستشفى البعثة يجد منافسة من الإدارة البريطانية التي أنشأت مستشفاها العسكري عام ١٩٢٠ وبحلول سنة ١٩٢٦ قررت البعثة إغلاق برنامجها الطبي في البصرة ونقل مستشفى لانسنق Lansing إلى العمارة التي تبعد ١٥٠ ميلا في الداخل

---

(١) Mason and Barny,op,cit.,pp.147-148.

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٣ ـ ١٥٤

(٣) المرجع نفسه ص ١٩٤ ـ ١٩٥

على نهر دجلة ، ولكن مدرسة الأولاد ظلت باقية في البصرة ونقلت البعثة كادرها الطبي إلى مرافق جديدة ،إلى محطتها الصغيرة في العمارة التي أصبحت الآن محطة رئيسية تماثل البحرين والبصرة .

إن تأثير برنامج الإعمار لدى البعثة في فترة ما بعد الحرب تعدى المرافق الطبية ، ففي هذه الفترة التوسعية أو التعزيزية قامت البعثة بشراء البنايات أو تشييدها لتكون مدارس ومنازل وكنائس كما تم شراء بعض الأراضي . وأخيراً وبعد فترة طويلة تم بناء مقر سكني مناسب للمنصرين في البحرين عام ١٩١٧ الذين كانوا حتى هذا الوقت يعيشون أوضاعاً قاسية وغير صحية .[١] وفي هذه الأثناء تم بناء منزل متين وجميل ومريح في الكويت (١٩١٦) ليكون مقراً سكنياً للدكتور مايلريا وعائلته . وفي السنة التالية بني منزل لعائلة الكالفيرليز Calverlys[٢]. وفي عام ١٩٢٢ أسست مدرسة للبنات في البحرين ، وفي سنة ١٩٣١ أقيمت كنيسة تنصيرية في

---

(١)

Paul W. Harrison"The Doctor's Greatest Opportunity",in Neglected Arabia, no.99, Oct.- Dec.1916, p. 12.

(٢)

Mylrea, op.cit.55 and Eleanor Calverley," ALetter From Kuwait " in Neglected Arabia, no.102,July-September,1917,p.13.

الكويت وهكذا وفي كل محطات البعثة اشتريت الأراضي وأقيمت المباني ونفذت أعمال البعثة بنشاط وإخلاص .[1]

شهدت فترة ما بعد الحرب واحداً من أبرز التطورات في نيويورك وليس في ساحة عمل البعثة . هذا الحدث هوما وقع عام ١٩٢٤ من الاعتراف بالأمر الواقع فقد أوصى مجلس الشؤون الخارجية للكنيسة الإصلاحية البروتستانتية بالاعتراف بالبعثة العربية اعترافاً رسمياً وتم ضمها إلى مجلس البعثات الخارجية .[2] وهكذا تمكن الرواد الأوائل بجهودهم وإصرارهم أن يشرعوا في العمل في بعثة مستقلة في منطقة كانت معروفة سلفاً بأنه لايمكن الوصول إليها . ومن خلال الجهود المخلصة لعدد قليل من المعلمين والأطباء والوعاظ استطاعت البعثة أن تحصل على القبول لدى بقية المجتمع التنصيري . لقد كانت لحظة فخر للمؤسسين وهم صموئيل زويمر S.Zwemer وجيمس كانتين J. Cantine وناصحهم المخلص القس جون جي لانسنق John G.Lansing أستاذ لغة العهد القديم والتفسير في معهد نيوبرونزويك اللاهوتي New Brunswick مكنت موافقة المجلس (مجلس البعثات الخارجية) البعثة من تأسيس مراكز

---

(١) Mason and Barny,Op,cit., Chapter IX

(٢) المرجع نفسه ص ص ٢٣٠ ـ ٢٤١ .

إضافية في الميدان وتوسيع العمليات الميدانية ففي عام ١٨٨٩ كان المنصرون ثلاثة فقط (كلهم في البصرة) ثم مع حلول القرن الجديد ازداد عدد أعضاء البعثة إلى عشرة ، وفي عام ١٩١٥ بلغ عددهم ١٨ وبحلول عام ١٩٣٣ أصبحوا خمسة وثلاثين . وكان توزيعهم كالتالي : سبعة عشر منصراً في البصرة (بما في ذلك العمارة) وثمانية في البحرين ، وخمسة في مسقط والكويت .[١] لقد أصبح لدى البعثة الآن المقدرة من الأيدي العاملة للبدء في نشاطات تنصيرية مخططة بالإضافة إلى إقامة المحطات الدائمة. لقد كان في قدرة البعثة توسيع قاعدة عملياتها بصورة كبيرة والوصول إلى عدد أكبر من عرب الخليج ، ولذلك فليس غريباً أن تشهد الفترة من ١٩١٥ إلى ١٩٣٣ زيادة في الرحلات الاستكشافية وانطلق المنصرون إلى الناصرية (١٩١٨) وإلى بغداد (١٩٢١) .[٢] وأهم من ذلك أن البعثات التنصيرية الطبية تجولت في أنحاء الجزيرة العربية

---

(١) من الجدير بالاهتمام أن البعثة لم يكن لديها أبداً أكثر من أربعين منصراً يعملون وقتاً كاملاً في الميدان في أي وقت من الأوقات حتى في أكثر السنوات ازدحاماً وهي في الأربعينات والخمسينات .

(٢)
James Cantine," Baghdad,1921,"in Neglected Arabia, no.117, April -June,1921,pp.15-17.

لأول مرة فقامت برحلة استكشافية إلى الدوحة من البحرين عام ١٩١٨ وإلى الإمارات المحمية في١٩١٩ ورحلة إلى الساحل العماني قام بها د.لويس بي .ديم Louis P. Dame عام ١٩٢٥ كما قام هو نفسه برحلة إلى جنوب غرب الجزيرة واليمن عام ١٩٣٢ ، كما كان هناك غزو جريء عبر صحراء الجعلان قام بهاالدكتور دبليو هارولد ستورم W. Harold Stor في السنة نفسها . وربما فاق ذلك في الأهمية الانطلاق إلى المناطق النائية في الجزيرة ثم ترتيب مهمّات منتظمة إلى داخل الجزيرة ومنها الرياض حيث تجمع الألوف بعد الألوف ليعالجهم الدكتور بول دبليو . هاريسون .Paul W. Harrison عام ١٩١٤ و١٩١٩ وكذلك قام الدكتور ديم بجولات مماثلة في أعوام ١٩٢١ و١٩٢٤ و١٩٣٣ وفي رحلته التي قام بها الدكتور ديم Dame عام ١٩٢٤عالج ٣٣٧٤ مريضاً وأجرى ٣٦ عملية كبرى و١٠١ عملية صغرى وقام بإعطاء ١٥ حقنة وريدية .[١]

لقد كان فتح الداخل بالنسبة للمنصرين مصدراً عظيماً لتشجيعهم وإثارتهم وبدا كأنه مبرر لسنوات طويلة من العمل

---

(١)
Dr LouisP.Dame,"Touring Inland Arabia," in Neglected Arabia no.130,July-September,1925,pp.3-6.

الشاق ووفاء لتمسكهم بوعدهم بالنجاح أخيراً في تحقيق هدفهم الأصلي وهوالتنصير في الجزيرة ....«احتلال الداخل انطلاقاًمن الساحل» الذي اتخذوه قاعدة لهم . ولقد اشتركت عدة عوامل لجعل هذه الرحلات ممكنة ذلك أن مكاسب الحرب كان لها أثرٌ ليس صغيراً . فكان أول لقاء بين الملك عبد العزيز والبعثات التنصيرية الأمريكية في ربيع عام ١٩١٤ فعند سماع الملك عبد العزيزمن الشيخ مبارك عن وجود طبيب غربي ماهر في الكويت بعث الشيخ مبارك الدكتور مايلريا إلى مخيم الملك (١) . ليرى إذا كان يستطيع أن يفعل شيئاً لعلاج بعض أفراد حاشية الملك عبد العزيز . إن إحساس الدكتور مايلريا بأن هذه مناسبة لايمكن تفويتها فبعد أن عالج هؤلاء توجه إلى ابن سعود مستفسراً عن إمكان تأسيس مستشفى للبعثة في الرياض ، ولكن الحاكم السعودي رفض وشرح موقفه قائلاً :

« إن رجال وسط الجزيرة ليسوا فقط من دين واحد بل إنهم من مذهب واحد من هذا الدين ، وأنا أعرف جيداً بأن المنصرين إذا دخلوا أرضي واستقروا فيها فإنكم ستأتون برسالتكم الخاصة وكتبكم وسوف يحدث قلق

---

(١)

C.S.G.Mylrea,"The Thin Edge of the Wedge," in Neglected Arabia, no.92,Jan.-Mar.1915,pp.17-22.

لدى رجالي وهذا سوف يسبب لي المتاعب .

لا لن أقدم حتى ذبابة لأي دين آخر . عندما أحتاجكم سأبعث بطلبكم ، ولكني لن استطيع دعوتكم لتعيشوا بصورة دائمة في بلادي » .[1]

ومع ذلك فلم يكن ابن سعود خائفاً من طلب المساعدة عندما كان في حاجة لها . فبعد أربع سنوات وذلك في عام ١٩١٨ وعندما انتشر وباء الإنفلونزا في المملكة وأصيب بعض المواطنين ، حضر الدكتور هاريسون من البحرين للمساعدة في وقف هذا الوباء .[2]

وازدادت عدد المرات التي يطلب فيها مختلف قادة الخليج من أطباء البعثة أن يتنقلوا عبر ممالكهم للمساعدة في علاج حالات غير عادية أو مشكلات طبية ذات نطاق واسع . وهكذا طلب من المنصرين أن يبنوا مستشفى في الدوحة أو أن يرتحلوا عبر المناطق الداخلية في عُمان .ونما قبول العرب لتعليمات المنصرين في كل رحلة جديدة كما نما إحساس المنصرين بالثقة والإنجاز.[3]

وهكذا ازدهرت البعثة في العشرينات والثلاثينات من هذا

---

(١) مايلريا ، المرجع السابق ص ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(١) المرجع نفسه ص ٧٤ .

(٢) ماسون وبارني . مرجع سابق ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

القرن . فقد أسست البعثة العديد من المحطات الخارجية في العراق وقامت بعدة جولات إلى وسط الجزيرة وعلى طول الساحل . وفي عام ١٩٣٤ قدّم الدكتور لويس بي ديم تقريراً للمجلس في نيويورك يذكر فيه أن الملك عبد العزيز يطلب الآن قيام البعثة بجولات سنوية داخل الجزيرة .[١] وكذلك ازدهرت مدارس البعثة الخمس ووصل عدد طلابها في سنة ١٩٣٣ أكثرمن ٦٠٠ من الطلاب المنتظمين . [٢]

وفي سنة ١٩٣٢ تخرج ابن شيخ المحمّرة في مدرسة البصرة وكان هناك الكثير من طلبات الالتحاق مما اضطر البعثة إلى رفض قبول خمسين طالباً .[٣] وقد تخرج في مدرسة الأمل

---

(١)

F.J. Barny,ed. Annual Report of the Arabian Mission for1933, in Neglected Arabia,no.168,April-June,1934,p.3

(٢) تم توزيع هؤلاء الطلاب كما يلي : مدرسة البصرة للأولاد (الأمل العالي) (٢٨٦) ومدرسة عشار للبنات (٩٠) طالبة ومدرسة البحرين للأولاد (١٥١) طالباً ، ومدرسة البحرين للبنات (١١١) طالبة ، ومدرسة الكويت للأولاد (٢٨) طالباً . نقلاً عن :

Annual Report of rhe Arabian Mission for1932,in Neglected Arabia Arabia,no.164Jan.-June,1933,pp.9-11.

(٣)

John Van Ess in the Annual Report of the Arabian Missionfor1930-1931,in Neglected Arabia,no.161April-June1932,p.10.

العالي أكثر من مئتي طالب في العشرين سنة الأولى من عملها .[١]

وأهم من ذلك كله أن العمل الطبي استمر في الازدهار ، فالتقرير السنوي لعام ١٩٣٢ للبعثة يذكر أنها استطاعت إجراء ألف وأربعمئة عملية في مستشفياتها الثمانية . وعولج أكثر من ١٥٣٠٠٠ مريض . وبوصول عدد العرب إلى هذا الرقم الكبير وبنجاح البعثة في محاربة الأوبئة بدأت البعثة في أن يكون لها تأثير في الرأي العام نحو النظافة والطب الحديث . فقد كتب المقيم السياسي البريطاني في البحرين إلى وزارة الخارجية سنة ١٩٢٩ حول نجاح البعثة في هذا المجال قائلاً :

« لقد حققت البعثة خطوات عظيمة في السنوات الماضية في حالات الولادة فمعظم الجيل الجديد من العائلات الحاكمة يستخدمون أطباء البعثة مما جعل طبقات التجار تقتدي بهم أيضاً » .[٢]

---

(١)
John Van Ess," After twenty Years - an Appraisal," in Neglected Arabiano,162,July-September,1932,p.3-7.

(٢)
James D. Belgrave in a letter to Captain C.G.Prior,dated Bahrain 22December,1929. India Office Library of Records,London. Correspondence File R/15/2/1/32.

وقد كتبت زهرة فريث Zahra Freeth حول طفولتها في الكويت تذكر قصصاً شبيهة بهذا الأثر الضخم الذي تركه المنصرون في الكويت بحملهم الأهالي على قبول التطعيم والعلاج الطبي الحديث .[1]

إن هذا الأمر الذي بدأ كأنه رعاية مفيدة للبعثات الطبية من قبل قليل من الحكام العرب الأقوياء والتقدميين في السنوات الأولى من مثل الشيخ خزعل وسيد رجب النقيب والشيخ مبارك وآخرين قد أصبح أمراً مقبولاً لدى الجمهور . ولكن لماذا كان المسلمون على استعداد لقبول تعاليم البعثة وعلاجها الطبي ؟ فبالرغم من أن أحد حكام الخليج قد شجع أطباء البعثة على العودة مرارًا إلى بلاده إلا أنه منع دعوتهم إلى دينهم أو تأسيس بعثة دائمة فيها . في محاولة من الينور كالفرلي Eleanor Calverly ، إحدى الطبيبات الرائدات في الكويت ممثلة لكنيستها الأمريكية ، لشرح أسباب قبولها بسرعة منصرّة طبية قدمت هذا الشرح المقبول ظاهرياً .

« بالنسبة للمسلم إن الطبيبة المرأة هي أولاً نصرانية ومثل كل

(١)

Zahra Frèeth , Kuwait was My Home (London,1956) , ChapterVII, " The American Mission ".

الكفار مصيرها إلى النار . ومن جهة أخرى هي مؤمنة بالنبي عيسى [عليه السلام] الذي جاء في القرآن أنه النبي المعروف بأن من معجزاته شفاء المرضى وإحياء الموتى ، وبصفتها من أتباع هذا النبي فإنه من المتوقع أن يكون لديها مواهب في علاج المرضى وشفائهم » .(١)

وهكذا يمكن أن نبرر قبول البعثات النصرانية الطبية في المفهوم الإسلامي الخالص . وهذا هو حقاً مايبدو أن عرب الخليج قد فعلوه . وبدون نفاق علني فإنهم فعلوا مثل ابن سعود باستخدام العلاج الغربي والعلوم الغربية ليساعدوا في دعم مجتمعهم الإسلامي الخالص . لقد كان هناك سابقة إسلامية من قبل الرسول محمد [صلى الله عليه وسلم] بتبادل بعض الأفكار مع « أهل الكتاب » فأي شيء يزيل المعاناة ويبقي الحياة فإنه لاشك يقوي المجتمع الإسلامي القائم * .

---

(١)
Eleanor Calverly, " The Arab Woman and the Lady Physician,in Neglected Arabia,no.126,July- September,1923,p.3.

* إن عبارة المؤلف غامضة وقد يكون المقصود فيها الشبهة التي يثيرها المستشرقون عن أخذ الإسلام عن أهل الكتاب . والموقف الصواب هنا أن الإسلام إذا اشترك مع أهل الكتاب في بعض الشرائع فما ذلك إلا لأن المصدر واحد . أما مسألة تبادل الأفكار مع أهل الكتاب فإن المسألة ليست مسألة تبادل أفكار فالرسول صلى =

أما المنصرون فهم من جانبهم رغم أنهم أكدوا وجودهم في الخليج إلا أنهم لم يقتربوا من إجابة سؤال جون فان إس John Van Ess الأساس وهو لماذا يذهب المنصرون إلى هناك ؟ لماذا لم ينجحوا في الجانب الدعوي ؟ ولكن مازال بعض المنصرين الأقل حساسية داخلية يجادلون بأن قبول « العلاج النصراني » و « التعليم النصراني » هو خطوة نحو قبول كامل « للقيم والمعتقدات النصرانية » [1] بينما وقف زملاؤهم الأعمق تفكيراً يخالفون هذا النهج من التبرير الذي يخلط بين النصرانية والمادية الغربية وأسرعوا في عزل الطرق الحديثة والكهرباء والاتصالات

= الله عليه وسلم كما نص القرآن الكريم (إن هو إلا وحي يوحى) أما ما عند أهل الكتاب من علم دينوي فقد سمح الإسلام بالاستفادة منه شريطة أن لا يتنافى مع العقيدة الإسلامية . ويجب أن نتنبه إلى أن « الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها » ونعيد هنا ما قلناه حول مسألة التقدم فالإسلام دين يدعو إلى العمل وإلى الإفادة من المعطيات المستجدة إن لم تتعارض مع توجيهاته فالمسلمون مثلاً سبقوا أوروبا بقرون في بناء المستشفيات وتشييدها . (المترجم)

(١)
See for Example,Mrs.C.S.G. Mylrea," A Visit to Basra, in Neglected Arabia,no.107,October-December,1918,pp.9-12.

المتطورة عن رسالة النصرانية الأساس .[1]

وجادلوا قائلين بأن مزيداً من الوقت أمر ضروري وهناك حاجة إلى صبر غير محدود . وفي ذلك كتب جون فان إس عام ١٩١٩ قائلاً : « إن تنصير هذه البلاد قد يحتاج إلى قرون ولكن من حق النصراني أن يفكر بهذه الصورة ، وفي الحقيقة إنه الوحيد الذي يملك هذا الحق » .[2] وفي هذه الأثناء ظل المنصرون مشغولين بنظام حياتهم اليومي الرتيب وعظاً وتعليماً ومعالجة مرضاهم الذين يزداد عددهم في العراق والبحرين ومسقط . فقد كان العمل بالنسبة للأطباء تحدياً وفي الوقت نفسه مجزياً . فطبيب جراح من الدرجة الأولى مثل د. بول هاريسون له أن يكتب بأمانة بأن خبرته الميدانية في الجزيرة كانت أكثر قيمة من أي عمل يمكن أن يقوم به في أحسن

---

(١)
Rerverend Gerrit D.Van Peursem, " How Can thee Medical Work Best Help the Evangelistic," in,Neglected Arabia,no.97,April-June, 1916,pp.10-16,and Dr. Paul W. Harrison, "TheDoctor 's Greatest Opportunity,"in Neglected Arabia, no.99,October-December,1916, pp.11-15.

(٢)
John Van Ess," A Program for Mesopotamia,"in Neglected Arabia, no.110,July-September,1919,p.14.

المستشفيات في بوسطن وبالتيمور [1] فالوظيفة تكمن مكافأتها أكثر في الناحية الشخصية وقد حاول د . مايلريا أن يشرح ذلك في رسالة بعثها للكنيسة في أمريكا عام ١٩٢٧م مشيراً إلى إحساسه بالابتهاج لكونه « أداة نافعة في أيدي الله » يقدم الشفاء للمريض ويكسب الثقة والصداقة لدى هذه المجموعة من الناس الساحرين اللطيفين من سكان الخليج .[2]

وهكذا وباقتراب البعثة في الخليج من مرور خمسين سنة على عملها فإنها تستطيع أن تنظر بفخر إلى الوراء حيث سِجِلُّها الذي تحسد عليه من النمو والإنجاز .

من المؤكد أن النقص في التحول إلى النصرانية كان مشكلة خطيرة كما أشار إلى ذلك بوضوح جون فان إس في تكرار هذا

---

(١)
Harrison,"The Doctor's Greatest Oppotunity,"in Neglected Arabia, no.99,October-December,1916,p.12:

«إنها فرصة مهنية رائعة أن يجد ممتهن الطب وذو التدريب من مستو عال نفسه وسط مثل هذه الظروف فهناك المشكلات التي تحتاج إلى حل . وهناك ثروة ضخمة من المادة الإكلينكية ، فلديه كل ما يستطيع عمله ويبعده عن الملل . إن القيود الوحيدة التي يواجهها هي قيود القدرة والتدريب والقوة الجسمية » .

(٢)
Mylrea,"Some of the Rewards of the Doctor,"in Neglected Arabia, no.142,July-September,1927,pp.3-6.

مرة بعد أخرى . وكذلك كانت الفرصة وتدمير الذات التي أظهرها العالم الغربي في الحرب العظمى كان يحررهم من الوهم وكذلك ارتفاع موجة المادية في البلاد الغربية كل ذلك كان يهدد أسس بناء النصرانية في المجتمع الغربي والذي كان أمراً بدهياً في السابق . ولكن تقدماً حقيقياً قد تم في العمل الميداني ذلك أن الطبقة الأولى من المنصرين الذين كانوا يعملون حينئذ في البعثة لم يكونوا ذلك النوع من الرجال والنساء الذين يمكن تثبيط حماستهم بسرعة .

وحتى لو كانت البعثة قوية داخلياً فإنها كانت عرضة لهجوم قوى خارجية . لقد بشرت أوائل الثلاثينات من هذا القرن بحادثتين سيكون لهما تأثير واضح على البعثة ، وهاتان الحادثتان ستهزان المجتمعين الغربي والشرق أوسطي من أساسيهما ؛ ففي الغرب أشار الانهيار في سوق الأسهم عام ١٩٢٩ إلى بداية سنوات الكساد والركود أما في الخليج فقد اكتشف البترول في جزيزة البحرين عام ١٩٣٣ . إن نتائج هاتين الحادثتين واستجابة البعثة لهما سيشكل فصلاً آخر في التاريخ الطويل والزاخر بالأحداث للخليج .

الفصل الثالث

البعثة العربية بعد البترول
(١٩٣٤ - ١٩٥٨)

البعثة العربية بعد البترول
(١٩٣٤ ـ ١٩٥٨)

كانت سنة ١٩٢٩ سنة حاسمة في التاريخ الاقتصادي الحديث ذلك أن انهيار سوق الأسهم في تلك السنة إشارة إلى بداية الركود في جميع أنحاء العالم مما أدى إلى الشلل في العالم الصناعي وهز إيمان الرجل الغربي في نظام « السوق الحرّة » وفي بداية الثلاثينات اتسعت رقعة البطالة في أوروبا وأمريكا ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح هذا الأمر محسوساً في الشرق الأوسط . وكان للكساد تأثيرات أساسية على البعثة في الخليج . ففي المقام الأول تسبب في خفض المساعدات الاقتصادية من الغرب. وفي المقام الثاني شجعت الاتجاه إلى الحلول المادية والمالية لمشكلات البعثة وثالثاً وربما كان هذا أكثرها أهمية ، إشارتها إلى التحرر النهائي ومسألة التمزق في الغرب ، مثل هذا التحررلا يمكن تجاهله من قبل العرب المسلمين أو أن يعجز عن المساهمة في تحطيم معنويات المنصرين في الميدان . فمن الآن وصاعداً يجب على البعثة أن تلجأ إلى مصادرها الداخلية . وأما بالنسبة للتشجيع الروحي والإمداد

المـادي فعليها أن تقلل من الاعتمادعلى المساعـدات في ذلك من الخارج .

لم تشعر البعثة بنقص المساعدات المادية مباشرة ، ولكن أدت الضغوط المادية في منتصف الثلاثينات إلى إجبار البعثة إلى الاختصار في البرامج التعليمية . فقد كانت هذه البرامج مجاناً حيث تتكفل البعثة برواتب المدرسين ، وصيانة المباني وتقديم الكتب المنهجية للطلاب .[1] ووجدت هذه المدارس بعض المساعدات المحلية مثل الهدية التي قدمت لمدرسة الآمال العالية في البصرة عام ١٩٢٧ . وهو عبارة عن معمل للعلوم قدمه بعض التجار العراقيين الذين قدروا عمل المدرسة [2] .

---

(١) لم تحدد تقارير البعثة بوضوح الترتيبات المالية الفعلية التي وضعت للطلاب في مدارس البعثة . ويبدو مع ذلك أن الدراسة كانت مجاناً بالكلية في السنوات الأولى . انظر :

James D . Belgrave letter of 22 December 1929, India Office Library of Records, London , R /15/2/1/32, p.1

وفي السنوات التالية بدأت المدارس في فرض رسوم على الطلاب للمساعدة في مواجهة المصروفات ولتصبح هذه المؤسسات قائمة بنفسها وفي ١٩٧٣ مثلاً كانت الرسوم الدراسية في مدرسة البحرين ٥ , ٧ دينار شهرياً (حوالي ٢٥ دولار أمريكي) انظر :

Mrs Rose Nykerk " Minutes of the Meeting of Representatives of the Arabian Mission held 21-24 March 1973 in Muscat, Oman," (RCA Archives , New Brunswick) p.10.

(٢) Annual Report of the Arabian Mission for 1927, in Nerglected=

ولكن كمية المساعدات المحلية لم تكن كافية لمواصلة البرامج الطموحة التي وضعت في العشرينات من هذا القرن . أقفلت مدارس الأولاد في الكويت والبحرين عام ١٩٣٦ .(١) ولم يعد هناك إمكان للإنفاق على مدرسة مسقط النهارية ، ومدرسة البنات في الكويت وبغداد . وبحلول عام ١٩٤٣ يذكر القس جريت جي بننق Gerrit J.Penning بحزن بأنه نتيجة للركود الاقتصادي فإن البعثة لم تستطع الإبقاء إلا على مدرسة الكبار في البصرة (مدرسة الأمل العالي)(ومدرستين للبنات الصغار في البصرة والبحرين) .(٢)

ولم يكن هذا الانخفاض في المساعدات المالية مشكلة مؤقته سوف تنتهي بنهاية الركود الاقتصادي بل إنها كانت مجرد إشارة إلى الضيق المتنامي وعدم الاكتراث في الغرب بالعمل التنصيري الذي استطاع الاستمرار حتى نهاية الركود والحرب وحتى الوقت الحالي.وفي تقرير البعثة السنوي في ربيع ١٩٥٥ تقول إدا بي ستورم .Eda P. Storm بمرارة : «وهكذا ينتهي تقرير بعثة الجزيرة العربية مقدماً صورة للفرص

Arabia , no . 144 , January - March , 1928 , p.13.

(١) Muallim Naseef " I Heard Chris's Command," in Neglected Arabia , no. 183, October - December, 1938, p. 13 .

(٢) Pennings, " Changing Conditions in Arabia," in Neglected Ara-

الضائعة والعوائق المتحدية . وفي كل مكان نفقد الاتصال بسبب نقص المال والنقص في الموظفين والنقص في المرافق والمعدات » . [1]

استمرت البعثة العربية في صراعها رغم الاستمرار في قلة المساعدات المالية من أمريكا مع شعورهم بازدياد عزلتهم عن قاعدتهم في أمريكا ، وبالرغم من أن الحاجة إليها في الخليج ماتزال ملحة ومع أن القبول في المدارس قد خفض من المستوى العالي في منتصف الثلاثينات ، ولكن مازال هناك مطالبة شعبية على المدارس التي ظلت مفتوحة . لقد نما عدد المقبولين في مدرسة البصرة عام ١٩٥٤ إلى ثلاثمئة طالب . وقد تلقت مدرسة البنات في البصرة عدداً من الطلبات يفوق إمكاناتها . ونمت مدرسة البنات في البحرين نمواً مدهشاً حتى بلغ عدد الطالبات ١٣٨ طالبة .[2]

هذا الهجر الذي تعرضت له مدارس البعثة لم يكن ليعطلها عن عملها على المدى الطويل بالرغم من عبارات السيدة ستورم Storm المتفجعة . ولكن الهجر الروحي الذي تعرض له المنصرون

= bia, no. 201, October - December, 1943, p. 4.

(١) Mrs. Ida P.Storm ," The Cry form the Desert ," in Arabia Calling, no.239,Spring,1955,p.21.

(٢) Annual Report of the Arabian Mission for1953,in Arabia Calling,no.235,Spring,1954.

من الغرب كان تأثيره أكثر خطورة ومصدراً أكبر لانخفاض المعنويات . إن العزلة الجديدة لأمريكا في الثلاثينات والأربعينات قد فرضت وجودها بقوة على الدوائر التنصيرية . لقد لخصها القس بننق Penning بصورة خاصة ولاذعة في مقال كتبه عام ١٩٣٤بعنوان «الأوضاع والتغيير في الجزيرة العربية» « إن النقص في العطاء عن مستواه العالي قبل حوالي خمس وعشرين سنة يُعزى إلى الركود المالي . لقد كان ركوداً حقيقياً ولكنه كان روحياً أكثر منه مالياً ...... إن عدد الذين يسألون عن عملنا باهتمام عميق أصبح أقل مما كان سابقاً . »(١)

وجدت البعثة نفسها في سنوات ما بعد الحرب معزولة أكثر مما مضى مما جعلها تزداد توجهاً نحو قيادتها الداخلية بدلاً من توجهها إلى الكنائس المساندة في بلدها الأم . وقد أصبح اجتماع البعثة السنوي أكثر حزماً وتأييداً وحسماً في وضع سياسة البعثة دون الرجوع إلى مجلس البعثات الخارجية في نيويورك .أصبح الذين يديرون العمل في البعثة الآن من جيل جديد من المنصرين الذين جاء كثير منهم من عائلات تنصيرية وكانوا ينظرون إلى الخليج على أنه وطنهم الطبيعي . كانوا

---

(١) بننق ، المرجع السابق ، ص٩ .

متأكدين من الحاجة إلى أطباء البعثة ومدرسيها . وكانوا على ألفة مع المشرق . وكانوا كلهم في الوقت نفسه على درجة عالية من المهارات المهنية وأكفاء في الثقافة الغربية . وهكذا كانوا قادرين على مساعدة العرب في التعرف على أسرار التقنية والثقافة الغربية التي كانت متقدمة على المجتمع الإسلامي حينذاك .

لم يعد المنصرون الوحيدين في محطاتهم ؛ فاكتشاف البترول أتى بجنس جديد من الغرباء هم أيضاً مبعوثوالثقافة الغربية الحديثة حيث وصلوا إلى الخليج في أوائل الثلاثينات . كان لظهور البترول أثر عميق في حظوظ البعثة كما كان للكسادبصماته وربما كان التأثير أعظم على المجتمع الإسلامي حول البعثة . فحيثما فشلت قوة السلام أو التنصير أن تتعمق فإن قوة الاقتصاد الغربي لم تجد صعوبة في أن تجد مدخلاً . لم يكن هناك ما يدل بصفة خاصة على المكر أو الخداع أو السرية حول هذا الغزو . كان الأمر ببساطة أمراً اقتصادياً . كانت الصناعة الغربية تبحث لها عن مصادر للثروة لإقامة صناعاتها التي يزداد اعتمادها على الآلية . لقد اكتشفت احتياطات ضخمة من البترول الاسود في منطقة الخليج وأرادت شركات البترول الغربية أن تستكشف مصادر هذه الطاقة وتطورها مع

تقديم بعض الأرباح إلى عرب الخليج . وهكذا كان كل ماأراده العرب أن يجلسوا ويدعوا الأجانب يقومون بكل العمل وبعد ذلك يجنون نصيبهم من الأرباح . ومن يستطيع أن يرفض مثل هذه الترتيبات .

اكتشف البترول أولا في البحرين عام ۱۹۳۳ وعندها أسرع تجمع من الشركات البترولية في تأسيس شركة بترول البحرين ووقعوا عقداً مع الرسميين المحليين لضمان استمرار ضخ البترول الخام الثمين . وفي السنة التالية وقعت شركة بترول البحرين عقداً لمدة خمس وسبعين سنة مع الحكومة الكويتية حول امتياز اكتشاف البترول وتطويره . كذلك ضمنت شركة بترول العراق الانكلو - أمريكية حقوق تطوير صناعة النفط في العراق بينما حصلت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) على امتياز النفط في العربية السعودية . ولكن مسقط هي الوحيدة التي كان فيها محطة للتنصير وظلت غير ملموسة من قبل شركات البترول وذلك لسبب بسيط وهو العجز عن اكتشاف بترول فيها .

لم يكن لاكتشاف البترول أي أثر رئيسي في الخليج وذلك أن معظم البترول لم يكن يتم تكريره في الشرق الأوسط بل يحمل إلى إيرلنده وإلى هولنده أو الولايات المتحدة للاستخدام

المباشر أو التكرير إلى بعض المنتجات البتروكميائية . إن لهبوط هذه الثروة على دول الخليج تأثيراً عميقاً في حياة العرب وبخاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . ففي مجتمع يعتمد على مصادر محدودة وكرم شخصي وشجاعة فردية وشرف كسبوه من الحياة الشاقة والصراع طوال العمرمن أجل الوجود ، فإن هذه الثروة الضخمة الهابطة عليهم كانت فعلاً تغييراً مثيراً. من السخرية أن يكون العرب هم وارثي هذه الثروة الواسعة ذلك أن إدارة مثل هذه الثروة الضخمة والسيطرة عليها كان من الموضوعات القليلة التي لم يسمح بها القرآن *. إن مسألة إدارة المصادر النادرة والمشاركة فيها أمر لابأس به ، ولكن كيف يمكن تجنب الفساد الناتج عن هذه الثروة الضخمة الهابطة فغير مقبول . وهكذا وجد العرب صعوبة جمة في استخدام الثروة الجديدة بصورة فعالة . وسريعاً ما تكدست أسواق العرب بالملابس الرخيصة المزوقة وأجهزة المذياع الصغيرة وسارت السيارات الكاديلاك اللامعة على السجاد الايراني حيث قادها

* لقد نبّه القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أن الله سخّر للإنسان ما في السموات والأرض ومن ذلك قوله تعالى : «وسخّر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه» (الجاثيه ١٣) وقوله تعالى : «هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» (الملك ١٥) . (المترجم) .

أصحابها الفخورون في دوائر لاهدف لها .[1] وقد تم تعيين المستشارين الغربيين لهدف وحيد وهو نصح الحكومة كيف تعد ميزانيتها وتستثمر أموالها أو حتى كيف ينفقون هذه الأموال التي حوتها ميزانياتهم .[2] كانت الحياة الإسلامية تبدو سابقاً حياة ذات اتجاه واحد وشاملة ولكنها الآن اهتزت بطريقة سيئة بدخول هذه البضائع الجديدة والآليات الضخمة .

وبطريقة ما كان المنصرون مسرورين بهذا التطور ، وكانوا نادراً ما ينتقدون تطوير الطرق والمواصلات والمرافق الطبية والصحية وإن تمسكهم بالنظر إلى الحضارة الغربية بأنها أساساً نتاج المجتمع النصراني فإنهم لم يتمالكوا أنفسهم من الشعور بالسرور للنصر الواضح لما حدث من تطور قضى على الخرافات الإسلامية . وهكذا فإن القس بننق وفي المقالة نفسها التي

---

(١) الكويت بالطبع هي النموذج لهذا الحديث غير المبروك فشوارعها الاسمنتية الواسعة مثل شارع فهد السالم يصيب الإنسان بالكآبة وذلك لما في الشوارع من عرض صارخ ومتباهٍ للوحات الزجاجية المادية . (يجب أن نحذر مثل هذه الأفكار ذلك أن المسلمين امتلكوا ثروات ضخمة قبل البترول وعرفوا كيف يديرونها وينمونها ولكن الاختلاف في مدى تمسك هؤلاء وأولئك بالإسلام) .

(٢) ففي زيارة إلى الرياض مع قائد قوة الشرق الأوسط في ربيع ١٩٧٣ حينما كان المؤلف متدرباً في البحرية الأمريكية أقام في منزل قائد سلاح المهندسين بالجيش الأمريكي .

ينوح فيها على « الركود الروحاني » في الغرب يرحب بهبوط الإسلام التقليدي بسبب طفرة البترول في الثلاثينات والأربعينات .

« ..... إن الإيمان العميق لدى المحمديين* بأن دينهم هو الدين الوحيد الذي لديه الحل لكل المشكلات قد اهتز بقسوة ذلك أن عجائب الغرب المقرونة بتعليم العلوم الحديثة قد هزت هذه الثقة وبذلك يجدون متأسفين أن الاسلام لم يعد منسجماً مع العالم الحديث ومع العلم »(١)

لقد كان الدكتور بننق غير ناضج في افتراضه أن العلم كان إلى جانب النصرانية ضد الإسلام . كان هذا الأمر أكيداً في الأربعين سنة الأولى من تاريخ البعثة . فقد قام صموئيل زويمر باستخدام التقنية الحديثة استخداماً مؤثراً في جدال دار في أحد شوارع البحرين عام ١٩٠٨ ، وكما يذكر مايلريا أن زويمر وعدداًمن المنصرين كانوا يشربون الشاي في مقهى صغير في سوق مزدحم مفتوح (سوق الخميس) خارج المنامة . ولما انتهوا من شرب الشاي أخذ صاحب القهوه الفناجين وحطمها بصورة مثيرة مشيراً إلى أن الكفار قد شربوا فيها ولايمكن تنظيفها مرة أخرى . وهنا انبرى زويمر للرد عليه قائلاً : إلى متى تستطيع أن

---

* هذا تعبير خاطئ من المؤلف والصواب أن يقول المسلمين .

(١) بننق ، مصدر سابق ص ٨ .

تفعل هذا ؟ أنظر إلى تلك الساعة في جيبك أين صنعت ؟ تلك المظلة في الزاوية ؟ علب الثقاب هذه التي على الطارلة ؟ العمامه التي فوق رأسك ؟ القماش الذي صنعت منه ثوبك ؟ لولا النصارى لكنت عريان ولن يكون لديك أي من منتجات الحضارة ؟ .[1] لقد كان هجوماً اختيرت كلماته بمهارة وقد مال الجمهور الذي ازدحم بسرعة ليشاهد المواجهه مال إلى جانب النصرانيه ولسان حالهم يقول : والله مايقوله الغريب صادق جداً .

لقد أثار زويمر الناس فعلاً حينما أحضر أول ساعة عامة إلى البحرين عام ١٩٠٦ . وكانت الساعة التي طلبها زويمر والدكتور مايلريا من هامبرج قد كلفت أربعين جنيهاً ووضعت على برج الكنيسة الجديدة المربع وجذبت بانتظام الجمهور إلى الكنيسة ليسمعوا الساعة تقرع كل ساعة أو نصف ساعة .[2] وقد أحدث مايلريا الإثارة نفسها في الكويت عندما بنى أول مستشفى أحضر له الاسمنت البورتلاند والعوارض والصلب والعديد من الألواح الزجاجية . هذه المواد لم يكن مسموعاً بها في الكويت في تلك الأيام .[3] وربما كان أكثر دلالة ما فعلته

(١) مايلريا ، مرجع سابق ص ١٧ ـ ١٨.

(٢) المرجع نفسه ص ١٨.

(٣) المرجع نفسه ص ٥٣ ـ ٥٤ .

البعثة بإدخال أول سيارة إلى الكويت عام ١٩٢١ (قبل اكتشاف البترول باثني عشر عاماً) .[١] لقد اشترى مايلريا حصاناً عام ١٩١٦ ليمتطيه في زياراته إلى المنازل في منتصف الليل خلال المدينة ومصطحباً حقيبته السوداء ، وهذا ما زوّد الجمهور بشيء يتحدثون فيه . وعندما استبدل بحصانه بعد خمس سنوات سيارةً من طراز تي - فورد كثر الحديث حتى أصبحت كالأسطورة . ولم يكن تقديم المنصرين الآليات والبضائع الغربية للطبقات الدنيا من الكويتيين فقط، فقد كتبت زهره فريث Zahra Freeth في تاريخها الحديث للكويت تذكر كيف أن عائلة الكالفرلي والمقيم السياسي البريطاني ساعدوا الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت ونصحوه في الفترة من ١٩٢١ ــ ١٩٥٠ في تأثيث غرفة الاستقبال وغرفة الطعام في قصر دسمان بأثاث أوربي مستورد من الهند وقد كتبت زهرة حول الشيخ أحمد قائلة : « ومع أنه كان محافظاً راغباً في الإبقاء على القيم والعادات العربية التي عدها الأفضل لشعبه إلا إنه شخصيا كان ميالاً للبضائع الغربية والتجديد المادي »[٢] وكان الشيخ مهتماً

---

(١) مسز دوروثي ب . سكودر . مرجع سابق ص ٢

(٢)

Zahrah Freeth , Kuwait: Prospect and Reality (London,1972) , p.89

بالأسلحة النارية والتصوير الفوتغرافي والسيارات وكان يجد متعة كبيرة في قيادة سيارته بنفسه .[1]

لم يعد المنصرون الأمريكيون الوحيدين الذين أدخلوا المنتجات الغربية إلى الخليج فقد كان هناك شركات البترول التي بدأت تستورد معداتها الخاصة وأجهزة الحفر والناقلات الكبيرة وحتى الطائرات . وقد ظهرت معدات البعثة عتيقة بالمقارنة . وظلت شركات البترول تعتمد على البعثة في الخدمات الطبية . ففي عام ١٩٣٤ بدأت شركة بترول البحرين في تمويل مستشفى البعثة في البحرين مقابل الخدمات الطبية لموظفيها . وفي الكويت كان مستشفى البعثة يمد مستوصف شركة البترول في ماقوا ويزوده بما يحتاجه . ولكن هذه العلاقة لم تستمر طويلاً . ففي عام ١٩٤٤ أنشأت شركة بترول البحرين برنامجها الطبي وتم استخدام إيرادات البترول في برنامج الدولة الطبي الطموح .[2] واستطاعت حكومة الكويت أن تفتح عيادة حكومية عام ١٩٣٩ [3] ، وبعد عشر سنوات تم تشغيل كل من مستشفى شركة بترول الكويت ومستشفى حكومي كبير

---

(١) المرجع نفسه ص ٨٩

(٢) بننق ، مرجع سابق ص ٦

(٣) السيدة سكودر ، مرجع سابق ص ٢

(المستشفى الأميري) .[1] ومع بداية الخمسينات سبب التنافس مع المستشفيات الحكومية في البحرين والكويت في أن فكر فكر المنصرون تفكيراً جدياً في غلق مستشفياتهم في هاتين المدينتين . [2]

لم تواجه البعثة منافسة في المجال الطبي فقط فقد تدفقت موارد البترول على برامج الحكومة التعليمية ، وبحلول ربيع ١٩٥٣ ذكرت المس راشل جاكسون Rachel Jackson بأن تغييراً قد حدث في منهج مدارس البنات في البحرين ليجعلها مكملة لبرنامج الحكومة لا منافسة لها . [3] لقد كان المنصرون منافسين ناجحين في المجالين التعليمي والطبي . حتى في الأربعينات والخمسينات ذلك أن أطباء البعثة كانوا من عدة نواحٍ أفضل كفاءة وأكثر إخلاصاً من نظرائهم من الأطباء الحكوميين ، ولم يكن هناك بالتالي نقص في عدد المرضى أو الطلاب . ولكن

---

(١) المرجع السابق ص ٢ وانظر وزارة الارشاد والاعلام الكويتية ، مرجع سابق الفصل السادس .

(٢)
Annual Report of the Arabian Mission for1951,in Arabia Calling, no.227,Spring,1952,pp.9 and12.

(٣)
Miss Rachel Jackson in Annual Report of the Arabian Mission for 1952,in Arabia Calling,no.231,Spring,1953,pp.13-14.

عمال البترول كانوا مشكلة خطيرة بالنسبة للبعثة لأنهم كانوا مثالاً لدعاة التحديث غير النصرانيين فقد أتوا معهم بموجة لاتقاوم من المادية الغربية الخالية تماماً من القيم الروحية التي تدعو لها البعثة . وفي ذلك كتب ديرلك دايكسترا Dirlik Dykstra بمرارة حول هذه المادية الجديدة في التقرير الفصلي للبعثة الصادر في خريف ١٩٤٨ قائلاً :

« هناك اهتمام واحد في الكويت اليوم ، ليس هو القومية لا ولا الدين إنه المال وحده تماماً . بقي الإيمان بالله كلاماً ولكن المال هو الهدف ونهاية كل شيء وبالطبع فالمستفيد الأكبر هو شركة الزيت . إن النجاح المالي للشركة هي حياة الكويتي الجديدة » .[1]

بالطبع لم يكن اهتمام دايكسترا بالمادية جديداً بالكلية بالنسبة للبعثة . فمنذ وقت مبكر يعود إلى عام ١٩٢٦ أدرك هـ . إي ، بلكارت H.A.Bilkart وهو يناقش إخفاق البعثة في عملها التنصيري أن المادية والعلم الغربيين هما أكبر عائقين ضخمين في وجه المنصرين ، فكثير من الطلاب العرب قالوا :

---

(١) Reverend Dirk Dykstra ," Allah the talk but Moneythe Goal ," in Neglected Arabia,no.214,Autumn.1948,p.5.

« ليس هناك إله وداروين هو إلهنا » .[1] وفي عام ١٩٣٩ كتب هارولد ستورم Harold Storm « الإلحاد الغربي واللامبالاة القومية » هي نتاج التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تتم في تلك الأيام في الشرق الأوسط .[2] وكتب دونالد آر ماكنيل Donald R. McNeil عام ١٩٥٥ حول أمواج المادية الصرفة والقومية ودبلوماسية الدولار والشيوعية بأنها أقدم الأزمات التي واجهت العرب على الإطلاق . ويوماً بعد يوم كان يرى هذه الأخطار الجديدة « تحطم حصن الإيمان والأمل والعدل وتسبب انهيار أيدلوجيات الإنسان الأساسية في كل من الشرق الأدنى والغرب »،[1] ولذلك فإن بداية تطور الزيت في

---

(١)

Reverend H.A.Bilkert,"Some Problems in Evangelism"in Neglected Arabia no.139,October-December,1926,p.9.

وقد وضع بلكرت قائمة هي : (١) التقاليد الإسلامية ، (٢) التعليم الغربي (٣) الامبريالية والمادية الغربية (الباحثين عن الذهب)،(٤) (الصلابة الاجتماعية الإسلامية)،(٥) الحقائق الجزئية للتعاليم الإسلامية . هذه هي العقبات الخمسة التي تعيق عمل البعثة التنصيري .

(٢)

W.Harold Storm, Annual Report of the Arabian Mission for1938, in Neglected Arabia, no.185, April - June, 1939, p.15.

(٣)

Donald McNeil,"Community Witness in Kuwait," in Arabia Calling, no, 238, Winter 1954 - 1955, p.6

الشرق الأوسط التي رحب بها المنصرون وعدوها نصراً للعلم والتحديث الغربي أثبتت أنها تحد أكبر مما اعتقدوا .[1] وقد أجبر القس بي . دي . هاكن B.D.Hakkan على إخفاء حقيقة إخفاق رجال البترول أنفسهم في حضور القداسات وهو يتحدث ممتدحاً « الأوضاع الاقتصادية المتحسنة » و« انهيار التطرف » وذكر أن هذا الإخفاق قد أصبح حاجزاً معيقاً للعرب الذين أصبحوا يقسمون بالولاء بإخلاص أكبر ليس للإسلام أو النصرانية بل لشيطان الجشع وحب المال[2]. وربما كان حديث د. هارولد ستورم هو أفضل تعبير عن رد فعل البعثة للتحدي الجديد في كتابه : « أين تتجه الجزيرة » بحث في الفرصة التنصيرية (نيويورك ١٩٣٨) . « صليب المسيح ليس محفوراً على الهلال الشاحب أكثر منه على المادية وعدم الإيمان والفخر والرغبة ، وهذه الأمور هي الشائعة بالنسبة لغير المؤمنين في كل مكان والتي تجد هذه الأيام عوامل مقوية من هيبة الغرب

---

(١)
See Pennings loc,cit., and Reverend B.D.Hakken," A New Phase in Mission History," in Neglected Arabia,no.177,October - December, 1936,pp.11-13.

(٢) هذه مبالغة من المؤلف فإن صدقت على نسبة معينة فإنه لا يصح تعميمها على جميع العرب في الخليج .

(المترجم)

العلمية والاقتصادية والسياسية ».[1]

فإذا كانت الثلاثينات و الأربعينات سنوات مزعجة للبعثة العربية من جهة فإنها كانت صراعاً ضد اللامبالاة في أمريكا والمادية في ميدان العمل ، إلا أنها كانت بالتأكيد سنوات ناجحة جداً من جهات أخرى . وكما كتب د. ستورم في ١٩٣٩ بأن التغيرات الاجتماعية السريعة في البلاد العربية تسببت في « زيادة الطلب على مؤسسات البعثة في صورة الإنجاز والمعدات والأفراد » .[2] فعلى العموم كانت البعثة ناجحة في مواجهة هذه الطلبات . فالعدد الكبير للحالات الطبية قد استمر في الزيادة وكذا فرص زيارة المناطق النائية حيث أصبح الأطباء والمنصرون أكثر تردداً عليها . وأصبح بإمكان البعثة أن توسع وجودها المادي في صورة مستشفيات جديدة ، ومدارس ، وكنائس وذلك في برنامج تعمير شامل .

وفي عام ١٩٣٤ وفي منتصف سنوات الكساد شيدت مستشفى شارلز هـ . نوكس التذكاري Charles H. Knox في

---

(١)
Dr Harold W. Storm, Whither Arabia : a Survey of Missionary Oppurtunity (New York, 1938), pp.56-57.

(٢)
Storm, Annual Report of the Arabian Mission for 1938, in Neglected Arabia, no.185 April - June, 1939, p.15.

مطرح المدينة الشقيقة في عُمان .[١] وبعد ثلاث سنوات انتقلت عيادة النساء الصغيرة في الكويت إلى بناية جميلة واسعة تملكها البعثة ، وهي مستشفى كيت جي . إس أو لكوت Katt G.S. Olcott [٢] وبعد سبع سنوات أي في عام ١٩٤٤ وهي السنة نفسها التي بدأت فيها شركة بترول البحرين خدماتها الطبية . أضافت البعثة في البحرين جناحاً جديداً لمستشفاها للنساء وفي عام ١٩٤٨ افتتح سلطان مسقط السيد سعيد مستشفى للأمراض المعدية في مطرح [٣] وبني مستشفى الدوحة لشيخ قطر .[٤] وبعد سنتين أضيف جزء إلى مستشفى ماريون ولز التذكاري للنساء في البحرين . وفي عام ١٩٥٦ أفتتح مبنى للولادة في مسقط وافتتح حاكم الكويت عبد الله السالم

---

(١)
Dykstra,"A Study in Reinforced Concrete " in Neglected Arabia, no, 171, April - June, 1935, pp.3-6.

(٢)
Mylrea ," The Opening of the Olcott Memorial Hospital," in Neglected Arabia,no.186,July-September,1939,pp.3-7.

(٣)
Dr W. Wells Thoms," The Substance of Things Hoped For," in Arabia Calling,no.225,Autumn,1951,pp.3-6.

(٤)
Storm," Qatar Dispensery - Its Development," in Neglected Arabia, no. 212, March, 1948, pp.6-7.

الصباح مستشفى جديداً باسم مايلريا التذكاري الجديد . وفي عام ١٩٥٧ انشئت قاعة وملحق لكنيسة الكويت وعلى العموم فالسنوات من ١٩٣٤حتى ١٩٥٨قد شهدت عملية بناء وتشييد لم تشهدها أي فترة أخرى في تاريخ البعثة رغم الكساد والمنافسة من شركات البترول ومن الخدمات الطبية الحكومية .

لقد ربِّي جيل جديد من المنصرين ذوي التدريب الجيد للعمل في هذه المرافق الجديدة وليحلوا محل الرواد . فقد تقاعدت عائلة الكالفيرليز Calverley وآل مايلرياز عام ١٩٣١ بعد أن عملوا في مستشفى الكويت مدة عشرين سنة . وهلك جيمس كانتين عام ١٩٤٠ أحد الرواد الثلاثة المؤسسين ، أما جون فان اس الذي أنشأ مدرسة الأمل العالي في البصرة وكان واحداً من أكثر المنصرين الأوائل دقة واحتراماً فقد مات في البصرة عام ١٩٤٩. وأخيراً وفي سنة ١٩٥٢هلك صاموئيل زويمر ودكتور ستانلي جي مايلريا . ومايلريا هو أول من تحدث مع الملك عبد العزيز في أن يسمح للمنصرين بالعمل في السعودية . كان قد عمل في بعثة الكويت من بدايتها حتى تقاعده عام ١٩٤٥ . لقد كان رجلاً عملاقاً بين منصري البعثة العربية وعاد إلى الكويت عام ١٩٥٢ زائراً وهناك مات حيث قضى سنوات عديدة من عمره بين الناس الذين أصبح بينهم

أسطورة وأصبح اسمه على كل لسان .[1]

لاشك أن مايلريا قد ترك انطباعاً عميقاً لدى الكويتين . ولعل صورة الافتتاح الرسمي للمستشفى سنة ١٩٥٦ تؤكد ذلك فقد كانت لحظة اعتزاز للمنصرين الثلاثة والأربعين الذين اجتمعوا ليقدموا احترامهم لمايلريا وليشاهدوا افتتاح المبنى الجديد الجميل . وقد أضفى حضور الشيخ عبد الله الصباح طابعاً رسمياً على الاحتفال . وقد تمت المراسيم باللغة العربية . وكان عدد الحضور حوالي ٧٠٠ شخص كويتي .[2] نقش على حجر الاساس باللغة العربية : « بسم الله ولصالح الشعب الكويتي » هذا العمل الذي كرّس مايلريا حياته كلها من أجله مازال موضع عناية مستمرة بعد وفاته .

واستمر عمل البعثة الطبي في الخليج في النمو خلال سنوات الحرب . وقد كتب د.استر بارني آمز Esther Barny Ames من البحرين تقريراً ذكر فيه أن مستشفى النساء الجديد

---

(١) مات ثلاثة من أطباء البعثة التنصيرية في الكويت ودفنوا فيها وهم : دكتور مايلريا (١٩٥٢) و د. جيرالد فايكرك (١٩٦٤) و د. لويس آر سكودر الأب (١٩٧٥) عن دوروثي سكدر مرجع سابق ص ٢ .

(٢)
Annual Report of the Arabian Mission for1955,in Arabia Calling, no. 242, Winter 1955 - 1956, pp 8-10.

كانت البعثة حريصة على بقائه مليئاً إلى درجة الازدحام في كل الأوقات ، وغالباً مايفوق عدد المرضى عدد الأسرة المتوفرة في المستشفى . كان زوار المستشفى من العرب والفرس على السواء ، بل لقد رحلت النساء من قطر والقطيف والحسا لاستشارة أطباء البعثة . وكان هؤلاء يمثلون طبقات المجتمع كافة من كناسي الشوارع إلى السقّايين إلى عائلة الشيخ الحاكم[(١)]

إن الملخص السنوي لعام ١٩٤٤ يذكر أن أطباء البعثة قد أجروا ٥٥٤٣ عملية جراحية وعالجوا ٢٧١١٢١ مريضاً[(٢)] وهذا بالمقارنة بـ ١٥٠٠ عملية و ١٦٠٠٠٠ مريضاً عام ١٩٣٣[(٣)] قبل إحدى عشرة سنة فقط وهذه الزيادة تمثل ٢٦٩٪ و ٦٩٪ على التوالي .

لقد أضافت الحرب العالمية إلى حِمْل المستشفى النامي ، ومرة

---

(١)
Dr Esther Amy Barnes, Annual Report of the Arabian Mission for 1943, in Neglected Arabia, no. 202, Jan.- june, 1944, p.5.

(٢)
F.J.Barny,ed. Annual Report of tha Arabian Mission for 1944, in Neglected Arabia, no. 205,January - June,1945, p. 23 .

(٣)
Barny,ed. Annual Report of the Arabian Mission for 1933 in Neglected Arabia, no.168, April - June,1934, pp.3 - 15.

أخرى وجدت البعثة نفسها تهتم بالعديد من الجنود الأمريكان والبريطانيين والتجار ورجال الطيران . وبالرغم من عدم وجود إحصاء دقيق لعدد أفراد الخدمات الذين عالجتهم البعثة في هذه الفترة ، إلا أن التقرير الفصلي يوليه ـ سبتمبر ١٩٤٥ يذكر بأن الرقم يشير إلى أن عددهم بالمئات ، والتقرير مزدحم برسائل الشكر من هؤلاء وعائلاتهم .(١)

وحصل في عام ١٩٤٥ في الدوحة تطور فريد ومثير في العمل الطبي للبعثة وذلك حينما طلب شيخ قطر من الدكتور ستورم الذي كان في رحلة حول الإمارات المحمية طلب منه أن يرسم له مخططاً لمستشفى صغير . فما كان من الدكتور ستورم إلا أن جلس تلك الليلة تحت ضوء مصباح غازي ورسم مخطط مستشفى . وهنا استدعى الشيخ مسؤول البناء لديه ، وأصدر أوامره ببناء المستشفى وفي هذه الأثناء أعد الدكتور ستورم قائمة بالمشتريات وأرسلت إلى لندن لشراء الأثاث والمعدات الطبية وفي خلال سنة استدعي الدكتور ستورم ليدير المستشفى

---

(١)
W.H.Storm,"The Arabian Mission and Service Men,"Rachel Jackson," Canteen Work in Basra," and G.E.De Jong," Acceptable Invasion," in Neglected Arabia,no.206,July-September,1945, pp 3-11.

الحديث والمجهز تماماً .(١) كان المستشفى صغيراً مصمماً ليستوعب واحداً وعشرين مريضاً داخلياً وعدداً من المرضى المعالجين خارجياً لايزيد على الثمانين . ولكن البعثة لم تكن قادرة على إدارته بصفة دائمة . لقد كانت الحادثة معبرة حيث إنها برهنت على المبادرة من قبل حاكم عربي ليس في تشجيع العمل التنصيري والتعاون معه بل تمويله وتنفيذه . هذه الملحمة كانت مؤثرة بصورة خاصة سنة ١٩٤٥ م قبل وقت طويل من اكتشاف البترول في الإمارات المحمية ، وفي وقت لم يكن الحاكم قادراً على القيام بمثل هذه المشروعات التطورية المكلفة .

وبمرور الوقت وارتفاع تكاليف تشغيل هذه المستشفيات فقد أصبح شائعاً لدى السكان المحليين أن يتحملوا نصيباً أكبر في تكاليف تشغيلها . لقد اتبعت البعثة دائماً السياسة الاشتراكية «المعالجة بحسب الحاجة والدفع بحسب الإمكانات» وهكذا فالمرضى الأشد فقراً كانوا يعالجون عادة بالمجان بينما المرضى الأكثر ثراءً كانوا يدفعون مايستخدم بصورة مباشرة في تمويل معالجة مواطنيهم الفقراء . كانت هذه السياسة تعني في السنوات الأولى أن البعثة تحملت معظم تكاليف المستشفى

(١) Storm," Qatar Dispensery - Its Development, in Neglected Arabia, no. 212, March, 1948, pp.6-7.

حيث إن أكثر المشكلات الطبية خطورة كانت منتشرة بين الفقراء وبمرور الوقت وازدياد غنى دول الخليج نتيجة لطفرة البترول وقيام الخدمات الطبية الحكومية المقدمة مجّاناً منافسة لخدمات البعثة فإن المستوى الاقتصادي والاجتماعي لمريض البعثة المتوسط قد تغير وبخاصة في البحرين والكويت . وكان كثير من المرضى الفقراء جداً يترددون إلى عيادات الدولة بينما التجار الأثرياء والموظفون هم الذي كانوا يبحثون عن العناية الطبية الأكثر مهارة لدى أطباء البعثة . ففي البحرين نقص عدد مرضى العيادات الخارجية ولكن المرضى الداخليين الذين يحتاجون عمليات جراحية عالية التكاليف قد ازداد . فهؤلاء كانوا يريدون أن يدفعوا مقابل أفضل الخدمات المتوفرة . وعلى عكس الحالة في البحرين فإن كثيراً من الفقراء في الكويت وبخاصة غير الكويتيين استمروا في تفضيل مستشفى البعثة على مستشفيات الحكومة الكبيرة وذلك لشعورهم بأن الكويتيين الأكثر غنى منهم والمتنفذين كانوا يستطيعون المطالبة بمعاملة أفضل في المستشفيات الحكومية ولكنهم كانوا جميعاً يتلقون معاملة واحدة لدى البعثة . إن مجموعة من رجال الأعمال الكويتيين الذين تقدموا برغبتهم في تمويل المستشفى عام ١٩٦٦ أشاروا بصورة خاصة إلى الخدمات الخاصة والعناية

التي تقدمها البعثة إلى بعض أفراد الطبقة الكويتية المحرومة نوعاً ما في المجتمع الكويتي . وفي مسقط استمر معظم مرضى البعثة يأتون من الطبقة الفقيرة جداً ولم تكن مسألة رسوم العلاج مطروحة إطلاقاً .

وبدأت الحكومة في مسقط في ذلك الحين بتقديم المعونات للمستشفيات مع استمرار الكنيسة الإصلاحية في تحمل تكاليف تشغيل المستشفى بينما كانت الطبقة المتوسطة في الكويت أكبر عدداً وقادرة على الدفع مقابل الخدمات الطبية وكان هؤلاء على استعداد لتمويل معالجة مواطنينهم الأكثر فقراً الذين مازالوا يأتون إلى المستشفى . وفي البحرين كان مستوى المعيشة الأعلى في كل البلدة يعني توفر الأموال بصورة أكبر من المصادر الخاصة من أجل العلاج الطبي ، وعند استدعاء هاريسون إلى العودة من التقاعد عام ١٩٥٤ أبدى اهتمامه بالتغير حول موقف الكثير من البحرينيين نحو العناية الطبية حتى قال : لقد كان لدى الناس مال أكثر لإنفاقه على العلاج ، كانوا يريدون الأفضل « لاأريد حقنة بخمس روبيات » هذا ماقاله أحد العمال العاديين « ذلك أنني أستطيع أن أدفع

عشر روبيات من أجل حقنة وأنا أريدها »[١] وفي تلك السنة كان بإمكان د . هاريسون و د . ستورم أن يكتبا تقريرهما برغم ارتفاع تكاليف العمليات إلى درجة عالية إلا أن عمل البعثة الطبي كان قادراً على تمويل نفسه تماماً .[٢]

كانت الرحلات الطبية إلى داخل الجزيرة مهنة نامية خلال الخمسينات ، ففي عام ١٩٣٤ دُعِيَ الدكتور ديم Dame إلى وضع برنامج رحلات منتظمة إلى « نجد وليس الرياض وحدها ، بل إلى العديد من المدن إلى الشمال والشمال الغربي حتى حائل » .[٣] وقد قدمت البعثة كل ما في وسعها لانجاز ذلك فقد عولج ١٠,٤٠٦ مريضاً في الرحلة التي تمت عام ١٩٣٥ .[٤] وقام الدكتور هاريسون برحلتين في الجزيرة عام ١٩٤٢ ، ورحلتين أخريين إلى نجد في

---

(١)

Ann M. Harrison, A Tool in His Hand:the Story of Dr. Paul W. Harrison of Arabia (New York,1958), p.156.

(٢)

Storm and Harrison, Annual Report of the Arabian Missionfor 1953,in Arabia Calling,no.235,Spring,1954,p14..

(٣)

Dr.Louis P.Dame, Annual Report of the Arabian Mission for 1933, in Neglected Arabia, no.168,April - June 1934, p.13.

(٤)

Mrs. Paul W. Harrison, Annual Report of the Arabian Mission for 1935, in Neglected Arabia,no 174, January - March 1936.

ويجب التنبيه هنا إلى أن الملك عبدالعزيز رحمه الله لم يسمح مطلقًا لهؤلاء بممارسة أي نشاط ديني وهو موقف بارز ويستحق التقدير .

(المترجم)

السنة التالية .[١] كما قام الدكتور ستورم بالعديد من الرحلات إلى الشواطىء الشرقية للجزيرة وقام كذلك الدكتور ولز تومس Wells Thoms برحلة طويلة عام ١٩٥٢ بناء على طلب سلطان عُمان في ظفار وعلى شواطىء المحميات .[٢] وهكذا تمت المحافظة على العمل المخطط خلال الأربعينات والخمسينات وتم تنفيذه بحيوية كما كان في بداية العشرينات والثلاثينات .

وظهرت في هذه الأثناء موجات سياسية جديدة في الشرق الأوسط لتجعل من التدخل الغربي كله أمراً أكثر صعوبة وأقل اتساعاً . ففي سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت الحركات القومية تتشكل ببطء كردة فعل للإمبريالية الغربية السياسية والاقتصادية . وهذه قد ظهرت إلى السطح واندلعت في ثورات عسكرية . فقد شعر القوميون العرب بأن الغرب قد

---

(١)

Paul Harrison," A Great Doctor - Many Adversaries," in Neglected Arabia,no.198, October-December,1942,pp.3-23,and Barny,Annual Report of the Arabian Mission for 1943,in Neglected Arabia, no.202 January - June, 1944, p.4.

(٢)

Storm, Annual Report of the Arabian Mission for 1951, in Arabia Calling, no.227, Spring, 1952, pp.13-14.

خدعهم في فلسطين ووجهوا اللوم للبريطانيين والأمريكيين في تأسيس دولة يهودية في فلسطين عامي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ . فقد حدث شغب في شوارع البحرين والعراق عام ١٩٤٧ وكان لابد من قيام الجنود بحماية ممتلكات البعثة في البصرة والعمارة في عدة مناسبات للحفاظ على سلامتها من الرعاع .[1] ومع أن التدخل الأمريكي إلى جانب العرب عام ١٩٥٦ قد تسبب في بعض التحسن المؤقت في العلاقات الأمريكية العربية إلا أن عام ١٩٤٧ يجب أن ينظر إليه على أنه نقطة تحول رئيسة عجزت أمريكا بعدها أن تسترد شعبيتها وهيبتها فقد بلغت ذروة النقمة القومية على الوجود البريطاني في ثورة ١٩٥٢ . فقد خلع الملك فاروق المؤيد لبريطانيا وتبع ذلك صراع قاسٍ بين الجيوش العربية من جهة وجيوش بريطانيا العظمى وفرنسا وإسرائيل من جهة أخرى . وبعد سنتين تم خلع ملك العراق ورسمت الخطط لتكوين جمهورية عربية متحدة تضم مصر وسوريا والعراق . وقد نادى القوميون العرب المسلحون بإنهاء التدخل الاجنبي في الشؤون السياسية والاقتصادية للدول العربية وإعادة توزيع الثروة في المجتمع العربي نفسه .

ومن الجدير بالذكر أن البعثة لم تستثن في البداية من

---

(١) مقابلة مع القس سكدر الابن في نيوبرونزويك نيوجرسي، ٢٣ فبراير ١٩٧٧.

الهجوم العام المنطلق من كراهية الأجنبي وهناك العديد من الأسباب المبررة لذلك . ففي المقام الأول حرصت البعثة دائماً على المحافظة على حياد سياسي ولم تستخدم الدعم العسكري أو الدبلوماسي الأمريكي أو البريطاني لفرض موقفها على العرب ، وثانياً فإنه نظراً لوجود البعثة الطويل في الخليج فقد أصبحت مؤسسة محلية من أكثر من جهة فكل المنصرين كانوا يتحدثون العربية ، وكثيرمنهم ارتدوا اللباس العربي عندما كانوا يقومون بجولاتهم وأكلوا الطعام العربي بميل شديد واحترموا العادات والآداب العربية . وثالثاً إن البعثة بالقدرالذي كانت فيه منتسبة إلى قومية وهذه القومية هي أمريكا ، وأمريكا كانت أكثر الدول الغربية ميلاً إلى موقف متوازن ولو حتى عام ١٩٤٧ . لقد كان ودرو ويلسون Woodro Wilson هو الذي أيد مبدأ تقرير المصير في مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ وهكذا فليس مدهشاً بالكلية أن نقرأ تقديراً مشرقاً للمنصرين كذلك الذي ظهر في المجلة العربية الأسبوعية «الفيحاء»التي كانت تصدر في سوريا (بينما كان القوميون العرب يعارضون الفرنسيين بمرارةً) « هؤلاء هم الأمريكان . جاؤوا إلى الكويت استجابة لطلب حاكمها وأسسوا فيها مستشفيين ليخففوا آلام المرضى ويمسحوا بأيدي أطبائهم دموع

المبتلين . هؤلاء هم الذين تخلوا عن بلادهم ليذهبوا إلى بلد غريب عنهم في اللغة والوضع الاجتماعي وفي الدين ؛ من أجل أن يخدموا الإنسان.هؤلاء هم الرجال الذين يمثلون الروح الأمريكية الحقيقية في الكويت » .[1]

لقد أدت أزمة الكويت عام ١٩٥٦ إلى وصول المواجهة بين القوميين العرب في كل البلاد العربية والغرب إلى الذروة ، ففي البحرين كما في غيرها من سائر الدول العربية انطلقت المظاهرات والشغب ضد التدخل العسكري البريطاني والفرنسي، وتم ترحيل معظم الأجانب من البحرين ولم يبق سوى البريطانيين وأعضاء البعثة الأمريكية . وقد استمرت البعثة في عملياتها كالسابق خلال الأزمة فقد كانت مقبولة لدى مضيفيها العرب كمحايد وصديق .

إن عدم الاهتمام التاريخي والإيثار الذي كان يميز عمل البعثة واحداً من العوامل التي ساهمت في قبول العرب له رغم تنامي موجة كره الغرب . ومن المؤكد أن الشيخ مبارك العظيم استخدم هذه المبررات بفعالية عندما برر للكويتين في نقاشه

(١)
Quted by Reverend G.D. Van Peursem in "America in Kuwait," Neglected Arabia, no.142, July - September 1927, pp.7-8.

معهم قراره بإعطاء البعثة أرضاً عام ١٩١٣ .(١)

« .....هؤلاء الرجال ! من هم ؟ هل هم دبلوماسيون ؟ هل هم سياسيون ؟ تجار؟ لا ! هؤلاء الرجال جاؤوا هنا ليعلمونا .ويعلم الله أننا جهلاء كالحمير . إنهم يبنون مستشفى ليعتنوا بمريضنا كل إنسان يموت اليوم ولكن عندما جاء هؤلاء وجدنا من يعتني بمريضنا . الطبيب يريد شيئاً . لاأدري ماهو هذا الشيء ، ولكني أريد أن أقول علناً بأن أي شيء يريده الطبيب فسأعطيه إياه » .(٢)

---

(١) ممتلكات البعثة العربية ودار الإقامة السياسية البريطانية . وبعض الممتلكات الخاصة بالكولونيل اس .آر . بي ديكسون H.R.B.Dickson هذه هي الأراضي الوحيدة التي كان يملكها الأجانب في الكويت ولم تكن مؤجرة .

(٢)
Quoted by Mylrea ," Old Times Evening in Kuwait" in Arabia Calling,no.220,Summer 1950,p.10.

وقد طلب الدكتور مايلريا حينئذ قطعة أرض مساحتها ٢٧٠ × ٣٠٠ م لبناء مستشفى وسكن البعثة وقد أجيب طلبه . وبعد ٥٩ سنه رحب الشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة بمجموعة من المنصرين المتقاعدين وقال ملتفتاً إلى الدكتور ادوين لويدنز Edwin Luidens والآنسه كونليا دالربرج Miss Cornilia Dalerberg معبراً بصورة تأكيدية عن سعادته لرؤية المنصرين يعودون . وصرّح بأنه يرحب بهم دائماً في البحرين واصفاً إياهم بأنهم الذين اتخذوا بلاده صديقة لهم عندما كانت فقيرة فهم مازالوا أهلاً للثقة من الذين جاؤوا إليها بعد ظهور البترول والازدهار .

مقابلة مع القس إي إم . ليودنر في ٢١ فبراير ١٩٧٧ في مدينة تينك Taneck =

ولنفهم حقيقة حصول المنصرين على ذلك الموقع الخاص والفريد من ثقة أهل الخليج في الخمسينات فإن علينا أن نذكر الجانب الديني من عملهم ، فيبدو أنه كان هناك تناقض ظاهري في استجابة العرب لجهود البعثة التنصيرية . فمن جهة نجد أن العرب ارتابوا وخافوا من البعثات التنصيرية المسيحية ليس فقط بصفتهم كفاراً ملحدين ولكن ملحدين مهتدين ويدعون إلى دينهم ! ومن جهة أخرى احترموهم كثيراً لقد صدم بول هاريسون من هذا التناقض الظاهري في زيارته الأولى إلى الرياض ·

وبعيداً عن كشف حقيقته كنصراني فهو لم يحاول أن يخفيها أبداً فقد وجد أنهم ينظرون إليه باستحسان مميز بسبب آرائه الدينية التي كانت برهاناً على أنه كان كافرًا متديناً ولم يكن وثنياً متوحشاً تماماً .[1] وعندما زار الدكتور ديم Dame الرياض بعد خمس عشرة سنة مرّ بالتجربة نفسها حيث كان رد الفعل مشابهاً لما سبق .

= بنيوجيرسي .

(١)

Paul Harrison in Neglected Arabia, no.104, January-March, 1918, p.5

وإذا كان المنصرون قد كسبوا احترام العرب وثقتهم وإعجابهم إلا أنهم لم يضمنوا النجاح في تحويل عدد كبير إلى النصرانية ففي تقرير زويمر ربع السنوي يوليه ـ سبتمبر ١٩٢٢ إحصائية تذكر تحول ٤٥ ألف مسلم و ٥٥٥ ألف وثني في جزيرة جاوا إلى النصرانية . وليس واضحاً إذا كانت الأخبار هذه صادقة أو هي فقط لتشجيع البعثة العربية أو لغمزها . ولكن مثل هذه الأرقام الضخمة من الواضح أنها لن تكون مطلقاً جزءاً من تاريخ البعثة في الخليج . وفي مؤتمر تامبرام التنصيري العالمي الذي عقد في مدراس في الفترة من ١٢ ديسمبر حتى ٢٩منه عام ١٩٣٨ وقف الدكتور هاريسون أمام المجتمع التنصيري العالمي ليبلغهم عن سجل التنصير لدى البعثة العربية فذكر خمس حالات في خمسين سنة .[1] وبالرغم من التصفيق الحاد تحية للدكتور على كلمته الشجاعة وقرار المجلس بأن « للكنيسة النصرانية التزاماً خاصاً وهو أن لاتترك العالم الإسلامي دون الشهادة على الإنجيل رغماً عن كل الصعوبات

---

(١) نيل ، مرجع سابق ص ٣٦٨

وضآلة النتائج وازدياد ضيق الفرص »[1] فالمعنى كان واضحاً لدى الجميع بالرغم من الجهود الشجاعة والملحة لثلاثة أجيال في المفهوم التنصيري على الأقل فإن الإسلام قد قاوم النصرانية بصفته قوة روحية .

ماالذي أبقى البعثة حية في الخليج ؟ فمنذ أثار جون فان اس السؤال أول مرة عام ١٩١٣ : لماذا نحن هنا ؟ فقد تم التوصل إلى أن الدعوة إلى النصرانية كانت هي صلب العمل التنصيري . فالتفسير أمر معقد وله عوامل فاعلة . ويمكن تمييز ثلاثة عوامل على الأقل أولها : نجد المنصرين قد تأقلموا مع الشرق الأوسط . ليس فقط نظرة العرب إليهم بأنهم أصبحوا محليين بل إنهم أنفسهم أصبحوا ينظرون إلى أنفسهم كمواطنين للدولة التي تستضيف البعثة . وثانياً : أصبحت علاقاتهم بثقافة بلادهم علاقة متكافئة حيث أصبحوا غرباء في بلادهم . لقد قطعت أواصرهم من الخلف مع مجتمع يزداد مادية ولامبالاة حتى إن هذا المجتمع لم يعد يتسامح معهم من بعيد وقد يثبت لهم بوضوح عداءه وجهاً لوجه . وثالثاً : وعلى العكس من

---

(١)
World Mission of the Church, Findings and Recommendations of the Interrnational Missionary Council, Tambaram, Madras, India, 12 - 29 December, 1938 (New York, 1939) p. 140.

الصورة القاسية غير المضياف في بلادهم فقد كان هناك حاجة حقيقية آنية لخدماتهم في الميدان .

وكما كتب د. ولز تومس من مسقط في ديسمبر ١٩٣٤ بالرغم من أنه يشك أحياناً في مهمته الشخصية ومع ذلك فإن « الإحصاءات الصرفة » تشير إلى أهمية استمرار مستشفى البعثة مفتوحاً لخدمة المئات من المرضى الذين اصطفوا على على أبوابه كل صباح .[١] وكتب إسثر بارني إمز Esther Barny Ames من البحرين يروي قصة مماثلة قائلاً : « إن عدد مرضانا استمر في كامل قوته ومتزايداً »[٢] ولكن المنصر اللطيف والصبور بول هاريسون قدم فلسفة تنصيرية جديدة تتابع ما كان أكثر تناسباً مع حقيقة الوضع ولكن هذا مابدا شبيهاً بالخبز والحليب للمنصر الرائد الحيوي والعنيف زويمر . وقد كتب هاريسون « إن كل ما يستطيع المنصر عمله هو إعطاء المهتمين صورة للحياة النصرانية والفرصة للاقتداء بها . ويكون السلوك اليومي للمنصر هو الإطار وبعد ذلك لا بد للتفاصيل أن تجد

---

(١)

Dr. Wells Thoms ," Our Doctor in Oman," in Neglected Arabia, no 201, October- December,1943,p.10.

(٢)

Dr Esther Amy Barnes, in Neglected Arabia, no. 202, January - June, 1944, p. 5.

مكانها داخل ذلك الإطار » .[١]

وبذلك يصبح المجهود المبذول في الخدمة هو الجائزة بنفسه وإلى درجة أقل عمل المستشفيات وأقل من ذلك أيضاً المدارس وهذا لا يحتاج إلى تبرير أكثر لاستمرارهم فوق أهميتهم الجوهرية للجمهور الذي يخدمه المنصرون . وكما كتبت هيزل وود Hazel Wood الممرضة المسجلة ببساطة من مسقط عام ١٩١٥ عن عمل د. تومس Dr . Thoms :

« إن عمله متنوع وشيق وجائزته العظمى هو الإحساس الداخلي بالرضا الذي يحصل عليه من قدرته على مساعدة أولئك الذين يعانون من الآلام والمرض . ولولا الأطباء الأمريكان الذين قرروا أن يأتوا إلى الجزيرة ويواجهوا تلك الحاجة الشديدة إليهم فإنه كان من المستحيل أن تجد المئات العديدة المساعدة التي يحتاجونها » .[٢]

لقد شهدت السنوات من ١٩٣٤ إلى ١٩٥٧ تحديات عديدة داخلية وخارجية ونهاية أخيرة للآمال الحقيقة لإدخال أحد إلى النصرانية . ولكن من جهات أخرى فقد ازدادت قوة البعثة

---

(١) Paul Harrison, Doctor in Arabia (New York,1940),p.283 .

(٢) Hazel Wood, R.N." All in the Day's Work," in Arabia Calling, no. 225, Autumn, 1951, p.7.

وأصبحت أكثر ثقة بنفسها ، ومع اقتراب نهاية عام ١٩٥٧ فقد أصبح عمر البعثة ٦٨ سنة وكان المبشرون الثمانية والأربعون الذين انتشروا في ميدان العمل وهو البصرة والعمارة والكويت والبحرين ومسقط يستطيعون النظر بعين الرضا إلى العمل الذي أنجزوه ويتطلعون لمواجهة التحديات الماثلة أمامهم . فقد شعروا بقوة إيمانهم داخلياً، وأحسوا بأنهم حيث يجب أن يكونوا، وأن مضيفيهم العرب كانوا بحاجة إليهم ويريدون بقاءهم . ولكن شيئاً فشيئاً تآكل أساس بناء البعثة ونتيجة للأحداث السياسية والاقتصادية المتسارعة في الشرق الأوسط وفي أمريكا فإن أيام البعثة أصبحت معدودة . كان الانقلاب على الملك فيصل والثورة العراقية عام ١٩٥٨ إشارات لنهاية فصل في تاريخ البعثة الحافل .

الفصل الرابع

السنوات الأخيرة
العلمنة وحل البعثة
(١٩٥٨ - ١٩٧٣)

السنوات الأخيرة : العلمنة وحل البعثة
(١٩٥٨ ـ ١٩٧٣)

حل عام ١٩٥٨ على البعثة كما حلت الأعوام السبعون قبله والبعثة واعية لوجود مشكلات وضعف ولكن مع الإصرار على التغلب عليها والاستمرار في عملها في الجزيرة . فجهود البعثة في العراق لا شك قد تأثرت تأثراً سريعاً بالانقلاب الدموي الذي أطاح بالملك فيصل الثاني ملك العراق على يد الجنرال عبد الكريم قاسم في أبريل ١٩٥٨ [تموز] وكذلك الجَيَشان الاجتماعي الذي صحب الانقلاب . ففي أعقاب الثورة التي اتسمت بالصلابة في معارضتها لكل أنواع التدخل الإجنبي في العراق ، أغلق مستشفى في العمارة وفي ١٦ مارس استولت الحكومة على ممتلكات البعثة في العمارة وأجبر أعضاء البعثة على الرحيل .(١)

وفي الشهر نفسه أجبر القس جي جاكوب هولير G.Jacob

---

(١)
Reverend Harvey Staal, Annual Report of the Arabian Mission for 1959, in Arabia Calling, no.248, March, 1960, p.,14.

Holler على مغادرة البصرة وترك مدرسة الهاي هوب خلال ثمان وأربعين ساعة .[1] وسمح للمدرسة أن تظل مفتوحة يديرها جزئياً بعض أعضاء البعثة مع تقييد حريتها إلى درجة كبيرة حتى أغلقتها الحكومه عام ١٩٦٧ وعندها طرد جميع المنصرين من العراق .

وكذلك واجهت البعثة صعوبات في الكويت بتعرضها للمنافسة المتزايدة من الخدمات الطبية الحكومية وخدمات شركات البترول بالإضافة إلى عدم الرغبة في نيويورك في تأييد البعثة مالياً مما أدى إلى إغلاق البعثة أبوابها في ٣١ مارس ١٩٦٧ .[2] فمنذ عام ١٩٤٩ أقامت الحكومة الكويتية تسعة مستشفيات مجهزة بثلاثة آلاف سرير ويعمل فيها ٣٤٠ طبيباً و٩٦٠ ممرضة .[3] إن المنافسة بين مستشفى البعثة ذي الخمسة والسبعين سريراً مع مثل هذا البرنامج الشامل كان مجلس المنصرين العالمي في نيويورك يعده أمراً غير واقعي .[4]

---

(١) القس . جي . جيكوب هولير ، المرجع نفسه ص ١٥ .

(٢)

Dorothy Scudder,loc. cit., p.2 and John E. Buteyn," Report on the Hospital Closing and New Programs in Kuwait,"13 April1967 (Board of World Missions Archives, New York).

(٣) وزارة الارشاد والاعلام الكويتية ، مرجع سابق ص ٤٢ .

(٤) جون بيوتين ، مرجع سابق والصفحة نفسها .

وعندما اقترحت نيويورك إغلاق مستشفى البعثة في الكويت سنة ١٩٦٦ تقدمت مجموعة رجال الأعمال الكويتيين بعرض هام يقضي بجعل عمليات المستشفى وقفاً ومع ذلك فإن الحكومة تراجعت عن تقديم أية مساعدات حكومية .[1] وقد توجه مجلس نيويورك إلى وزارة الصحة الكويتية بسؤالين دقيقين :

الأول : هل كان مستشفى البعثة عنصراً أساساً في خطة الدولة الصحية ؟ وثانياً : هل الحكومة الكويتية على استعداد لتمويل المستشفى في حالة الضرورة لإبقائه مفتوحاً ؟ . إن السؤال الأول كان مفتاح المسألة ، وقد أجابت الحكومة الكويتية بالنفي على كلا السؤالين .

وعلى الرغم من التعاطف الإنساني الكبير من قبل الكويتيين تجاه البعثة لسنوات عديدة فقد حكمت نيويورك على تحفظ الحكومة الكويتية الرسمي بأنه تعبير عن اللامبالاة وأملى عليها القرار السريع بوقف كل العمل الطبي في الكويت . وفي خلال أربعة أشهر من تقديم فريق البعثة العربية للدراسة الطبية

---

(١) مقابلة مع القس لويس آر . سكدر الابن في نيوبرونزويك . نيوجيرسي في ٢٢ فبراير ١٩٧٧ .

توصياته بانهاء العمل الطبي أغلقت المستشفيات أبوابها .[1]

كان تصرف المجلس من وجهة النظر الكويتية معادلا لخرق العقيدة مما أدى إلى إصابة المجتمعين النصراني والإسلامي بصدمة وكذلك المنصرون الآخرون في البحرين ومسقط . وسرعان ما أصبح موضوع الإغلاق هذا مثاراً للجدل . ففي المقام الأول لم يكن المستشفى يواجه ضيقاً مالياً . كان عجزاً مؤقتاً عام ١٩٦٥ بسبب تغيير مواقع بعض المختصين وسوء في الإدارة بعد وفاة الدكتور جيرالد نايكرك Gerald Nykerk المفاجئة ومغادرة رئيس الشؤون الطبية د . لويس سكودر المفاجيء بسبب مرض خطير .وبعودة الدكتور سكودر سرعان ما استعاد المستشفى وضعه المادي وأصبح قادراً على الوصول إلى درجة الاعتماد على النفس . وفي عام ١٩٦٤ كان المستشفى قد وصل إلى تسجيل رقم عال في عدد المرضى المعالجين الذين لم يكونوا فقط قادرين على دفع تكاليف تشغيله بل أيضاً على تمويل العمل الطبي في البحرين ومسقط .[2] وثانياً كان من الواضح أن للمستشفى رواجاً لدى الكويتيين واستمر في استقبال أعداد متزايدة من المرضى بالرغم من المنافسة من النظام

---

(١) جون ، اي . بيوتن ، المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

(٢) مقابلة مع الدكتور والسيدة ال .آر. سكدر الأب في الكويت ديسمبر ١٩٧٢.

الحكومي الطبي الشامل . وحتى حكومة الكويت وجدت نفسها تعترف عام ١٩٦٣ بغموض في إحدى مطبوعاتها بشعبية المستشفى التنصيري :

« يعود الفضل للمستشفى الأمريكي في أن يكون لدى الكويت اليوم خدمات طبية هي الأولى في العالم .فما زال هناك ٣٠٠ مراجع لقسم العيادات الخارجية يومياً » . [١]

وهكذا فإن هناك مبالغة في التبرير الرسمي لمجلس نيويورك بأن المستشفى لم يعد ضرورياً ولم يعد قادراً على منافسة الخدمات الطبية الحكومية المتوفرة . وربما كانت الاختلافات الشخصية حول طريقة تشغيل المستشفى هي التي أزعجت العلاقات بين العاملين في الميدان والمجلس في نيويورك ولكن هذا لم يكن سبباً كافياً لإغلاق المستشفى أيضاً . وبقراءة ما بين السطور للوثائق الحذرة يبدو أن نيويورك شعرت بأنه حتى وإن كان المستشفى قادراً على القيام بتمويل نفسه لبعض الوقت وإنه كان يتمتع بإقبال جماهيري عليه إلا أنه لم يعد أساسياً للكويت وبالتالي لم يعد يشكل إيماءة مناسبة للعمل التنصيري . وفي الوقت نفسه فإن الرسميين الكويتيين الذين استجوبوا عن فائدة المستشفى لم يكونوا راغبين في القول أو يفعلوا أي شيء

---

(١) وزارة الارشاد والاعلام الكويتية ، مرجع سابق ص ٤١ .

لإنقاذه . وقد أعدّت تصريحات صحافية مصاغة بحرص في اللغة الانجليزية والعربية لتشرح للجمهور أسباب إغلاق المستشفى . وهذا الجو الجدلي أقفل الموضوع بسرعة وهي دالّة على عدم اللياقة سواء من طرف الحكومة الكويتية أو المجلس في نيويورك .(١)

وقد عرضت حكومة الكويت على بعض أعضاء البعثة العمل في برنامجها الطبي ربما كإيماءة إلى ندمها على عدم اتخاذ خطوات نحو إنقاذ مستشفى البعثة من الإغلاق . وهكذا قبل رئيس أطباء البعثة الدكتور لويس سكودر L.Scudder وزوجه دوروثي Dorothy اللذان خدما الكويت منذ عام ١٩٣٩ وعدوا الكويت وطنهم أكثر من الولايات المتحدة ، قبلا عرض الحكومة الكويتية في البقاء ، فأصبح الدكتور سكودر مدير مستشفى الكويت العسكري وأصبحت زوجه رئيسة التمريض .

ستكون مسألة غلق مستشفى الكويت موضوعاً أكثر تشعباً مما توقع مجلس البعثات الخارجية في نيويورك . فبعد وقت قصير بدأت النشاطات التنصيرية الأخرى تتعرض للتهديد فالأرض التي يحتلها مجمع البعثة (مستشفيان وثلاثة مساكن

---

(١) بيوتين . المرجع والصفحة نفسهما وكذلك مقابلة مع القس سكدر الابن في نيوبرونزويك في ٢٢ فبراير ١٩٧٧ .

وسكن للممرضات وكنيسة ، وابرشية . ومخازن ومرآب) وكانت قد حصلت عليها البعثة منحة من الشيخ مبارك عام ١٩١٣ على أن تقتصر على بناء مستشفى ومساكن . فعندما حاولت البعثة نقل ملكية الكنيسة من حيازة البعثة العربية التي كانت الأرض باسمها إلى الكنيسة الوطنية الكويتية فإن حكومة الكويت رفضت ذلك . وفي السنة التالية تم نزع ملكية كامل الأرض . أما العقود الأخرى التي أبرمت حول أجزاء خاصة من الملكية وجب أن تؤجر بسعر سنوي رمزي من قبل الكنيسة واستولت الحكومه على مباني كلا المستشفيين لاستخدامهما لأغراضها الخاصة .[1]

---

(١) الفريق آر . جي مالتبي (متقاعد) .Lt.G.R.G. Maltby (Ret) « الكنيسة الوطنية الأنجيليكانية في الكويت من بدايتها حتى ديسمبر ١٩٧٦ » خطاب القاه في الاجتماع السنوي لهذه الكنيسة في التجمع الإنجليزي اللغة . ألقي في الكويت في ٢ فبراير ١٩٧٧ دفعت الحكومة الكويتية للكنيسة.الإصلاحية مبلغاً وقدره ٨٤,٠٠٠ دينار كويتي (حوالي ٢,٥٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي) مقابل نزع ملكية الأرض وتدفع على أقساط ابتداءً من سنة ١٩٦٩حتى ١٩٧٤ . ونظراً لأن بناء المستشفى قد تكلف ٧٥٠,٠٠٠ دينار كويتي عام ١٩٥٦ وكان هناك سبع بنايات مقامة فوق الأرض نفسها والأمر يتعلق بسبعة آلاف متر مربع ، فهذا المبلغ الذي دفعته الحكومة يقدر بحوالي ١٠٪ من القيمة الفعلية لهذه الممتلكات . وسمح للكنيسة باستخدام الأرض دون أجر حتى عام ١٩٧٢ تدفع بعدها ثمانية وأربعين ديناراً سنوياً (مبلغ رمزي) . من خطاب مالتبي ص ٢ . =

وعلى الرغم من إشارة بعض المنصرين في الميدان على نيويورك بأن الأرض سيتم نزع ملكيتها في حالة غلق المستشفى فإن هذا الأمر لم يؤخذ بجدية .[1] ومادام الأمر قد أصبح واقعاً

= وجدير بالانتباه أنه بالرغم من أن الكنيسة الإصلاحية قد نبهت المنصرين في الخليج باستثمار جزء من قيمة الصفقة في الكويت إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث . وحتى الإمدادات الطبية والمعدات التي وصل حجمها أن استغرق تسجيلها خمسين صفحة قد بيعت إلى الخدمات الصحية الكويتية مع أن مستشفيات مسقط والبحرين كانت في حاجة كبيرة لها . وحتى هذه المبالغ التي وصلت إلى ٢٥٠,٠٠٠ دولار قد أعيدت إلى نيويورك . ولما كانت الكنيسة الإصلاحية مثلها مثل كل الطوائف البروتستانتية الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعاني من ضائقة مالية من عام ١٩٦٩ حتى ١٩٧٤فهذا التدفق في الإيرادات من البعثة العربية هو الذي أبقي الكنيسة الإصلاحية بعيدة عن الخط الأحمر [الإفلاس] . وهكذا نجد أن البعثة العربية كانت واقعياً تمول الكنيسة الإصلاحية في الوطن الأم خلال هذه السنوات . وفي هذه الأثناء رفضت الطلبات الميدانية الملحة للتمويل (حوالي مليون دولار من أجل تنفيذ مخطط تحديث مستشفى مسقط في ١٩٦٩ وحولي ٥٠٠,٠٠٠ دولار لإنشاء بناية جديدة لمدرسة البحرين في ١٩٧٢) وكل هذا لأسباب تتعلق بالميزانية (مقابلة شخصية مع ال . ار . سكودر الأبن في نيويرونزويك في ٢٣ فبراير ١٩٧٧ وجون إي . بيوتين « البرنامج الطبي في عمان والتحويل المقترح لمتلكات مستشفى مطرح إلى وزارة الصحة العمانية » تقرير أعد لمجلس البرنامج العام للكنيسة الإصلاحية في أبريل ١٩٧٤) .

(١) ومما يلفت الانتباه إلى أن امكانية نزع ملكية الأراضي ليست مذكورة في =

وأصبحت البعثة كلها في وضع غير مستقر فإن قرار غلق المستشفى أصبح ينظر إليه بأنه قرار غير سديد . وقد تعلم المجلس من أخطائه في الكويت أن يكون أكثر حذراً حول الانسحاب المفاجيء وأعطيت اعتبارات أخرى إلى علمنة نشاطات البعثة والاندماج في المؤسسات الحكومية .

كان لغلق مستشفى الكويت آثارٌ محسوسة على عملية اتخاذ القرار في نيويورك ففي عام ١٩٧٠ عندما تولى السلطان قابوس الحكم بعد عمه سعيد بن تيمور في عمان وهُدِّد المستشفى بالاغلاق فاوض المجلس في نيويورك وزارة الصحة وتوصلا إلى حل وسط يقضي بدمج مستشفى البعثة (النساء والولادة والأمراض المعدية والطب العام) في برنامج الحكومة الطبي وبهذا تستمر البعثة في تشغيل المستشفيات بينما تملي

=
أوراق سياسة الكنيسة الاصلاحية لتبرير إقفال مستشفى الكويت بالرغم من أن العديد من المنصرين قد أشاروا إلى أن هذه نتيجة محتملة لعمل المفتش والمفاوض النيويوركي جون جيمس .انظر :

Arabian Miossion Medical Study Team," Report of the AMMST to the Board of World Mission on a Comprehensive Study of the Mission Hospitals in the Gulf in Kuwait, Bahrain , and Muscat/ Mutrah " 9 November 1966and John E.Buteyn," Report on Hospital Closing and New Program in Kuwait."Prepared for the Board of Foreign Missions on 13 April,1967.

حكومة قطر أنظمتها وتقدم الغذاء والأدوية والامدادت .[1]

وفي عام١٩٧٣وعندما حان وقت إعادة النظر في الاتفاقية سارت الحكومة العمانية خطوة أخرى إلى الأمام وذلك بطلبها أن يتم توزيع أعضاء البعثة على مناطق البلاد المختلفة وينضموا إلى عيادات الحكومة المختلفة .[2] ومعنى هذا عملياً وواقعياً تحطيم البعثة وتشتيتها وبخلاف الإغلاق الذي تم في الكويت فإن الاتفاقية العمانية سمحت باستمرار النشاطات التنصيرية الأخرى .[3]

---

(١) مجلس البرنامج العام للكنيسة الإصلاحية في أمريكا « الاتفاقية مع وزارة الصحة في سلطنة عُمان حول وضع مستشفيات البعثة في مسقط ومطرح ، ٩ ديسمبر ١٩٧٠ » (ملفات مجلس البعثات العالمية ، نيويورك) .

(٢) مجلس البرنامج العام للكنيسة الإصلاحية في أمريكا « الاتفاقية مع وزارة الصحة في سلطنة عُمان حول وضع مستشفى الرحمه (مطرح) والسعادة (مسقط) في ٦ أبريل ١٩٧٤ و John E. Buteyn," The Medical Pragram in Oman and Proposed Transfer of Mutra Hospital Property by the Oman Ministery of Health." April,1974.

(ملفات مجلس البعثات العالمي في نيويورك ، أشارت هذه الوثيقة الحديثة إلى التاريخ السابق للبعثة في الكويت والبحرين (الانسحاب والتعاون) في تبرير سياسة عُمان .

(٣) مجلس البرنامج العام للكنيسة الإصلاحية الأمريكية . « الاتفاقية .....» إبريل ١٩٧٤ .

أما بالنسبة للمحطات الأخرى فقد كانت البحرين أكثرها تماسكاً خلال الستينات وأوائل السبعينات . فدار الأيتام التي كانت البعثة تديرها قد أغلقت رسمياً عام ١٩٧٣ ولكن المستشفى استمر في العمل واستمرت المدرسة مزدهرة وكذلك المكتبة التجارية حيث أنشأت لها فرعاً جديداً في مطار البحرين الحديث ، وقامت بتوسيع وإعادة ترتيب فرعها الموجود في وسط المدينة . لقد تغير القانون الأساس لبعثة البحرين تغيراً عنيفاً عما كان عليه في السنوات الأولى . فالمستشفى المزدحم الذي كان يخدم مئتي مريض داخلي و١٥٠ مريضاً خارجياً يومياً وكان يعتمد على دعم الطبقه المتوسطة والعليا أكثر من اعتماده على الفقراء البحرينيين من العمال وعائلاتهم كان مؤسسة قائمة بنفسها . فقد قدمت البعثة رئيس الجهاز الطبي وبعض المساعدة الإدارية . ولكن تكاليف التشغيل كان يقوم به رسوم المرضى ومنحة مقدمة من حكومة البحرين (ففي عام ١٩٧٣ وصل إجمال الدخل ١٥٨,٠٨٤ ديناراً وكان هناك ربحٌ قدره خمسة آلاف دينار بحريني) . كذلك كانت مكتبة البعثة التجارية مؤسسة ربحية متخصصة ليس فقط في المطبوعات العربية والاناجيل ولكن احتوت ايضاً الكتب الانجليزية في التاريخ والشؤون الاجتماعية والكتابات العامة . وكان معظم موظفيها

من جمعية التنصير الدنمركية . وكان لها فرعٌ صغيرٌ في السوق القديم وسط البلد تخصص في بيع الكتب العربية . ولكن لم يكن مطروقاً كثيراً سواء من قبل البحرينيين أو الأجانب .

ومعظم المبيعات الشهرية التي بلغت ستة آلاف دينار بحريني كان نتيجة البيع في المركز الرئيسي الموجود بقرب المستشفى وكان أساساً نتيجة التعامل الكامل مع الأجانب وليس العرب .

وكانت المدرسة الخاصة المعدة لتلبية احتياجات المجتمع العربي هي أحد النشاطات المتبقية للبعثة ، وكانت لغة الدراسة هنا هي العربية وكانت الآنسة يوفان بانداك Yvonne Bandak هي المديره ويساعدها جهاز مكون من خمسة وعشرين موظفاً (من بينهم عدد من المتطوعين المنصرين الشباب) كانت المديرة مشغولة بتدريس أحد عشر وأربعمئة طالب (٤١١) كان مستوى التعليم واحداً من أعلى المستويات في البحرين ، وكان لدى المدرسة عدد من طلبات الالتحاق تفوق كثيراً قدرتها على الاستيعاب رغم ارتفاع رسوم الدراسة . وربما كان أكثر أهمية مما سبق أن المدرسة لاتزال تبذل جهوداً واعية لتشجيع المثل والقيم النصرانية لدى تلاميذها في الوقت الذي تساعدهم فيه للعمل في إدارة الأعمال أو غيرها من المهن .[١]

---

(١) مقابلة شخصية مع السيدة روز نايكرك في البحرين في مايو ١٩٧٤ كانت =

وعندما زار المؤلف مسقط في سبتمبر ١٩٧٣ كان مستشفاها مازال مزدحماً بالمرضى الذين يفيضون عن قدرته حيث كانوا يستلقون على الأرضيات عندما لايكون عدد الأسرة كافياً وكانت الامدادات الطبية والأغطية والطعام قاصرة ، وهنا كان المنصرون السبعة العاملون في المستشفى يسدون حاجة ماسة في البلاد وكذلك يجدون رضا من وظائفهم ولكنهم وقعوا ضحايا غَيْرة حكومة مسقط وعدم كفاءتها الإدارية مما أدى إلى تزايد القيود على نشاطاتهم . فالمدرسة التي كانت تديرها المس مارثا هولتز Marth Holtz من جمعية التنصير الدنمركية مازال لديها خمسون طالباً . وكان مجمل مبيعات مكتبة البعثة التي يديرها موظفون من جمعية التنصير الدنمركية ٢,٥٠٠ ريال عماني شهرياً، وكانت ماتزال هي المكتبة التجارية الوحيدة في المدينة . ولكن كان معظم التركيز إلى حد كبير على القطاع الطبي الذي كان يعمل فيه ثمانية من أعضاء البعثة الذين بلغ عددهم أربعة عشر شخصاً . ولكن بالرغم من أن الحاجة كانت

= هذه المقابلة مصدراً هاماً لأرقام محددة حول نشاطات البعثة في البحرين عام ١٩٧٣ أما الملاحظات حول عمليات المكتبات التجارية فهي ملاحظات المؤلف عندما كان مرابطاً في البحرين من عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٧٤ . محضر اجتماع البعثة العربية في مسقط عام ١٩٧٣ ص (٧ ـ ١٠) ملخصاً قصيراً حول وضع البعثة في البحرين في ذلك الوقت .

عظيمة للخدمات الطبية في عمان إلا أن مستقبل المستشفى كان غامضاً في ضوء الترتيبات الجديدة .

لقد عاقت غَيْرةُ الحكومة العمانية وعدم كفاءتها في تقديم الامدادات الطبية عمل المستشفى الذي أصبح يواجه حِمْلاً فوق طاقته فبالرغم من إمكاناتها المادية الفقيرة وكون العاملين فيها من المنصرين كبار السن الذين جاؤوا بعد حصولهم على التقاعد ليساعدوا في دعم مجهود البعثة في عُمان . وحتى لو لم تأمر الحكومة بتشتيت المنصرين في السنة القادمة فإن الأمر كان غامضاً حول إمكان استمرار المستشفى مدة أطول مع معاناتها من عدم كفاية الامدادات وتعرضها للامبالاة الغرب وعدم تقديره وازدياد العداء لها من قبل الحكومة العمانية .[1]

حانت الفرصة للمؤلف أن يزور الكويت بعد عدة أشهر من زيارته لمسقط ليمكث في الكويت عدة أسابيع مع عائلة السكدرز في مجمع البعثة القديم . فرأى أن المستشفيات قد

---

(١) زيارة إلى مسقط في سبتمبر ١٩٧٢ ومقابلات مع د . هارفي دورنبوز Dr. Harvey Doorenbos و د . دونالد بوش Dr. Donald Bosch والقس هارفي ستال وزوجه Rev.&Mrs Harvey Staal. والسيد والسيده جاك سيمز الابن Mr & Mrs Jack Sims Jr .

وانظر كذلك محاضر البعثة العربية من اجتماع مارس ١٩٧٣ في مسقط ص ٦ ، أرشيف الكنيسة الإصلاحية في نيوبرونزويك .

أغلقت منذ آذار ١٩٦٧ وأصبح مستشفى مايلريا لكبار السن من الرجال تستخدمه الشرطة واستغلت إدارة الصحة التابعة للبلدية مستشفى كيت في اس اولكوت . أما عائلة السكدرز أنفسهم فيسكنون في منزل طبيب البعثة القديم الذي بناه مايلريا عام ١٩١٦ . نال الدكتور سكودر وسام الإمبرطوية الإنجليزية من جلالة الملكة اليزابث الثانية ، وقُدمت إليه ميدالية ذهبية من الرئيس جونسون Johnson للخدمات التي قدمها للشعب الكويتي[١] ، ومازال الدكتور سكودر نشيطاً في عمله رغم سنه التي بلغت السادسة والستين ومازال الدكتور سكودر وزوجه يتنقلون في سيارتهم مسافة ستة عشر ميلاً كل يوم إلى مستشفى الكويت العسكري شرق المطار حيث يقومون بتوسعة المرافق الخاصة بغرفة الأشعة وغرفة العمليات .

أما بالنسبة لنشاطات البعثة في الكويت فقد أغلقت المدرسة عام ١٩٣٠ بعد أن أعدّت المئات من أبناء الكويت لمستقبل مناسب في الطب وإدارة الأعمال أوالأعمال الحكومية ولقد كان من أبرز تلاميذ أدوين كالفرلي Edwin Calverly

---

(١) يمكن أن نعد هذه الأوسمة والميدليات صورة من ارتباط التنصير بالسياسة فهل كانت الخدمات الطبية هي المقصودة بالتقدير أو كان هناك خدمات أخرى سياسية ؟ . (المترجم) .

الشيخ فهد السالم مؤسس الخدمات الصحية الحديثة الكويتية وكذلك المتحدث الحالي باسم مجلس النواب السيد خالد غنيم . أما المكتبة فقد انتقلت من المدينة القديمة إلى بناية واسعة حديثة في ضاحية السالمية المزدهرة . ومثلها مثل المكتبات الأخرى كان يديرها أفراد من جمعية التنصير الدنمركية . وكان إجمالي المبيعات يشكل حجماً تجارياً كبيراً . وقد احتوت رفوفها بدلاً من الكتب الدعائية أو الأناجيل علباً لألعاب علمية وكتباً في العلوم السياسية وكتابات عامة معظمها باللغة الانجليزية وليس العربية .

وبالنظر إلى الكويت عام ١٩٧٢من خلال نظرة صموئيل زويمر فسيبدو كثيرٌ من الأشياء مألوفاً وكثير قد تغير . فقد استمرت البعثة الطبية ولكنها الآن ليست عيادة منعزلة يديرها المنصرون بل أصبحت مساهمة صغيرة بجانب الخدمات الطبية الحكومية ذات الاتجاه العلماني . ومتجر الكتب مازال باقياً ولأنه أصبح معتمداً على ذاته فقد اتجه أكثر إلى الكتب التعليمية أكثر منه نحو التنصير والدعوة . ولكن ماذا عن الجانب الدعوي للبعثة ؟ .

لم تعد قوافل الجمال تسير إلى داخل العربية السعودية أو القوارب أو السفن التجارية تسير عبر مستنقعات جنوب العراق

ولم يعد هناك محاولات نشطة للدعوة في الشوارع أو عن طريق الكنيسة أو عن طريق الكتب أو موظفي المكتبات .[1]

لقد استبدلت النشاطات الطبية والتعليمية والتنصيرية بنشاطات دعوية فقد وصل عدد النصارى في الكويت الآن عشرة آلاف ولكنهم لم يتحولوا إليها من الإسلام فهم أصلاً نصارى . ومعظمهم من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية أو الرومان الكاثوليك . وكانوا في الغالب متعاقدين قد جاؤوا إلى الكويت بحثاً عن وظائف جديدة ومعظم هؤلاء النصارى غير الكويتيين من المصريين والفلسطينين والسوريين والعراقيين أو الهنود وقد وصلوا إلى الكويت منذ عام ١٩٥٠ .

ومن الناحية التنظيمية فقد كونت الكنائس في الكويت رابطة غير محكمة (مرنة) أطلق عليها مجلس كنائس الكويت ضم ثلاث عشرة طائفة وكانت كنيسة الكويت الوطنية الدعوية عضواً مؤسساً في مجلس كنائس الكويت . وكان هناك ثلاث طوائف أخرى مرتبطة ارتباطاً غير وثيق بالكنيسة الدعوية وكانت تستخدم مرافقها في بعض الأحيان . كما استخدمت

---

(١) زيارة إلى الكويت في يونية ١٩٧٤ ومقابلات مع القس ال .آر سكودر الأبن وزوجه والدكتور والسيدة سكودر الأب . انظر أيضاً محاضر اجتماع مسقط ١٩٧٣ ص ٥ .

خمس طوائف أخرى مرافق الكنيسة الدعوية في إقامة برنامجٍ دعويٍ كاملٍ . ورغم أن الكنيسة الدعوية قد عدت نفسها أختاً للكنيسة الإصلاحية الأمريكية إلا أنها كانت مستقلة تماماً . وحتى عام ١٩٧١ قامت الكنيسة الإصلاحية بدعم كنيسة الكويت الوطنية الدعوية ولكن منذ عام ١٩٧٢ قامت الطوائف المكونه بدعم قساوستها ولم تعد الكنيسة الدعوية الكويتية معتمدة بأي وسيلة على نيويورك . [١]

وقد بلغ عدد الأشخاص التابعين للطوائف الثلاث في الكنيسة الدعوية الوطنية ألفاً ومائتي شخص . وبلغ عدد الطائفة المتحدثة بالعربية حوالي ثلاثمئة عضو . وكان راعيها منصراً قبطياً معاراً من مجمع النيل الكنسي إلى الكويت هو القس يوسف عبد النور الذي كان أيضاً رئيس المجلس العام للكنيسة الوطنية الدعوية وأمين صندوقها . وكان يقطن في أقرب مسكن للكنيسة . وأما الطوائف المتحدثة بالإنجليزية فبلغ عددها ٣٠٠ عضواً أيضاً (٥٠٪ هنود و٢٠٪ بريطانيين و ٢٠٪ أمريكان و١٠٪ جنسيات أخرى) وقد وُظف لرعايتها قس من الكنيسة الإصلاحية في نيويورك ولكنه كان مختاراً

---

(١) مقابلة مع القس ال . آر سكودر الابن في نيوبرونزويك ٢٢ فبراير ١٩٧٧ ومحاضر اجتماع مسقط عام ١٩٧٣ ص ٥ .

وتم استدعاؤه ودفعت رواتبه من قبل التجمع الكنسي المحلي .
لقد عاش الراعي وزوجه في الأبرشية التي بنيت عام ١٩٧٧ من أجل عائلة الكالفرلي وقاموا بأداء دور الصلة بين الكنيسة الإصلاحية والكنيسة الدعوية الوطنية .

وكان التجمع الثالث هو تجمع نصارى مدينة الكويت الملاويين وكان يتألف من خمس مجموعات طائفية يبلغ عددها حوالي ثلاثمئة شخص وكانوا يقومون بمسؤولية تجمعين آخرين هما التلقو والتاميل وقد بلغ الأفراد حوالي مئة وخمسين لكل تجمع وببساطة يمكننا القول بأن الكنيسة الدعوية للبعثة العربية قد انتهى وجودها وحل محله بناء إكليركي محلي وقام بمهمة تنسيق النشاطات لحوالي ألف ومئتي شخص في خمس تجمعات بينما يشتركون في مرافقها مع طوائف ثمان أخرى في الكويت وبهذا يصل عدد الجالية النصرانية في الكويت حوالي خمسة آلاف شخص .[١]

وحدث تطور شبيه في البحرين حيث كانت الكنيسة

---

(١)

Lewis R. Scudder, Jr." Disscussions and Recommendations Concerning the Nature of the National Evangelical Church in Kuwait and the Status of the Kuwait Town Malayalee Christian Congregation," 14 June 1974 (RCA Archives, New Brunswick).

الدعوية تتكون من ثلاثة تجمعات منفصلة ، فالتجمع العربي كان تحت قيادة القس إسحق عطا الله والتجمع الإنجليزي بقيادة القس هارولد دافنبورت Rev. Harold Daven port ويضمان حوالي مئتين وخمسين شخصاً وكانوا لايزالون يتلقون الدعم من الكنيسة الإصلاحية عام ١٩٧٣ . ولكن كان من المتوقع أن يستقلوا قريباً وكان التجمع الثالث هو الملالي وهو معتمد على نفسه ، وبإضافة إلى الكنيسة الدعوية في البحرين فقد كان هناك تجمع ذو حجم من الكاثوليك وكذلك مجتمع انجليكاني . فالراعي الانجليكاني كان يرعى تجمعاً في مدينة المنامة وآخر في عوالي وثالث في مجمع شركة بترول البحرين في الحفير . وكان مقر البحرية الأمريكية معبدها الصغير وقسيسها وتجمعها الكنسي للمتعاقدين .[1]

وكانت التجمعات الكنسية في مسقط أصغر بكثير وربما لأن عُمان لم تفتح أبوابها بعد للهجرة كما فعلت الكويت والبحرين كما أن الفرص الاقتصادية في السلطنة لم تكن جذابة لتأتي بالمتعاقدين النصارى . ومع ذلك فقد كان هناك كنيسة في مسقط ومعبد صغير في مطرح وقد كان التجمع الكنسي

---

(١) مقابلة مع القس هارولد ديفنبورت في البحرين مايو ١٩٧٤ ومحاضر اجتماع البعثة العربية عام ١٩٧٣ في عمان ص ٧ .

الإنجليزي يقوم بتكاليف راعي الكنيسة جزئياً مع مساهمة قدرها ٢٠٠ ريال عماني (تقريباً ٥٧٥ دولار) ولكن التجمع يتجه نحو الاكتفاء الذاتي . لقد تم دمج هذا التجمع مع شقيقه التجمع العربي ليكونا الكنيسة البروتستانتية في عُمان التي اشتركت في مرافقها مع سبع طوائف مسيحية . وكانت الكنيسة الإصلاحية ماتزال تقوم بدعم كلا التجمعين الكنسيين وقدمت زوجين من المنصرين ليقوما بالعمل كراعيين للتجمع العربي (القس جيمس دنهام وزوجه James Dunham) وللتجمع الإنجليزي (القس هارفي ستال وزوجه) ومما يلفت الانتباه أن قسيس التجمع الإنجليزي قد أصبح الراعي غير الرسمي لقوات السلطان التي ضمت بعض الجنود البريطانيين المعارين وقدم القداسات في صلالة ومصيرة وبدبد ونزوى .[1]

قام ستة عشر منصراً بالعمل الطبي من مجموع المنصرين المكونين لمؤسسة التنصير للكنيسة الإصلاحية والمؤسسات التنصيرية الأخرى البالغ عددهم خمسة وثلاثين . وكان عشرة من هؤلاء يقومون بعمل رعاة للكنيسة وخمسة يعملون مع المدارس

---

(١) مقابلة مع القس هارفي ستال وزوجه في مسقط في سبتمبر ١٩٧٢ ومحضر اجتماع البعثة العربية اجتماع سنة ١٩٧٣ في عمان ص ٦ .

والإدارة وأربعة يقومون بإدارة متاجر الكتب . قامت جمعية التنصير الدنمركية بتقديم خمسة من هؤلاء وقدمت الكنيسة البرسبتيريان Prespetyrian اثنان أعيرا للجيش الكويتي واثنان رعاة كنيسة كانوا عرباً معارين من الكنيسة القبطية من مجمع النيل الكنسي . وقامت الكنيسة الإصلاحية الأمريكية برعاية ثمانية من الأربعة والعشرين الباقين وكانت المصادر المحلية ترعى الأربعة عشر الباقين وذلك بتكفلها برواتبهم من مصادرها التي تأتي من مبيعات متاجر الكتب ورسوم المرضى ورسوم المدارس وتبرعات الكنائس المحلية .(١)

وهكذا وباقتراب نهاية عام ١٩٧٢ بلغ عمر البعثة العربية ثمانين سنة من العمل في الخليج وكان واضحاً لدى الجميع بأن عمل البعثة كان يقترب من نهايته . ففي العراق ربما كانت القومية العربية مختلطة نوعاً ما بالاشتراكية التي لاتثق بكل الأديان قد أجبرت على قفل البعثة الطبية في العمارة والبعثة التعلمية في البصرة . أمافي الكويت فإن ازدياد المادية قد أدى إلى علمنة محل بيع الكتب وتسبب التنافس مع الجهار الطبي

---

(١) قائمة مجلس البعثات العالمي للكنيسة الإصلاحية الأمريكية للبعثات التنصيرية في ديسمبر ١٩٧٣ .

(ملفات الكنيسة الإصلاحية الأمريكية في نيويورك) .

الحكومي الممول من البترول في إقفال مستشفى البعثة هناك .

وفي البحرين حولت نشاطات البعثة المختلفة نفسها إلى مؤسسات محلية منفصلة عن نيويورك ووجدت وسائل لتصبح قائمة بنفسها مادياً . أما في مسقط فقد تم استيعاب أفراد البعثة في برنامج الحكومة الصحي ولم يبق سوى المدرسة الصغيرة ومحل بيع الكتب التي يديرها الدنماركيون مستمرة في العمل بصفتها نشاطات تنصيرية مستقلة . لقد قامت البعثة بإعادة ملاءمة نفسها إلى حد ما في القيام بالمسؤليات الدينية نحو الجاليات النصرانية المختلفة التي استقرت في مسقط والبحرين والكويت ولكن بخصوص هدفها الأصلي المحدد بتنصير الخليج واحتلال «داخل الجزيرة باتخاذ الساحل كقاعدة» فإن البعثة العربية انتهت .

وفي مارس ١٩٧٣ اجتمع ممثلون عن المحطات الثلاث الباقية في مسقط وكان على رأس اهتمامهم مستقبل البعثة العربية وخطة حكومة عمان في استيعاب أفراد البعثة الطبية في خدماتها الصحية .[١] وبالنظر إلى عقيدة المنصرين الرواد

---

(١) السيده روز نايكرك «محضر اجتماع ممثلي البعثة العربية عقد في ٢١ ـ ٢٤ مارس عام ١٩٧٤م في مسقط ، عمان » .(أرشيف الكنيسة الإصلاحية في نيوبرونزويك)، نيوجرسي .

الأوائل بأنهم منصرون من الغرب النصراني إلى الشرق الإسلامي فإن هذا الأمر سيكون لعنة على البعثة لأنه ينطوي على أسلمة جهود البعثة . وحتى بالنسبة لجون فان إس فما زال الهدف التنصيري هو الأسمى وإن العمل ضد المنظمات الحكومية سيبدو بأنه علمنة لجهود البعثة إلى درجة غير مقبولة ولكن بول هاريسون قد أشار إلى النظرة الجديدة بأن الخدمات النصرانية إلى الشعب المحتاج إليها كان نفسه مبرراً . وإن الدليل النصراني يمكن إظهاره من خلال مثال السلوك اليومي للمنصر . ومن خلال هذا الإطار الأيدلوجي فإن العمل التنصيري في نطاق القيود العمانية مازال ممكناً وقد صوتت المجموعة التي اجتمعت في مسقط لتأييده . ولكن كانت المسودة التي وضعوها لتشكيل علاقاتهم التنظيمية الجديدة قد أوضحت نهاية البعثة العربية كوجود مستقل ، وقد كانت الترتيبات التي وضعتها بحيث تضع كل مجموعة تنصيرية سياستها وتكون كل بعثة حرة للعمل وكيلاً لنفسها مستقلة عن الآخرين ومسؤولاً فقط تجاه مجلس البرنامج العام (الهيئة البديلة لمجلس التنصير العالمي) في نيويورك خلال مجلس الإدارة المحلي أو اللجنة المشرفة على برنامجه كان أكثر من « إعادة التنظيم » إنها كانت في

الواقع حلاً للبعثة العربية .[1]

---

(١) محاضر اجتماعات البعثة العربية عام ١٩٧٣م ، في عمان ص ١٢ ـ ١٣ (القرار رقم ١١) .

الفصل الخامس

نظرة تأملية للماضي

تقويم نجاح البعثة وإخفاقها

نظرة تأملية للماضي

تقويم نجاح البعثة وإخفاقها

أشار اجتماع البعثة العربية في مسقط عام ١٩٧٣ إلى نهاية مابدأه زويمر وكانتين ولانسنق في مدينة نوبرونزويك سنة ١٨٨٩ . لقد شهدت البعثة تغيراً كاملاً خلال سنوات عمرها التي بلغت أربعاً وثمانين سنة سواءً كان ذلك نتيجة لأحداث خارجية أثرت في البعثة أوتغيرات في الهدف والنظرة إلى النفس من الداخل . لقد شرع الرواد الأوائل وهم صاموئيل زويمر وجيمس كانتين وشارلز رقز في عملهم من الولايات المتحدة يدفعهم إيمان قوي بهدفهم التنصيري لنشر الإنجيل بين المسلمين وثقة بالجدارة الثابتة والقيمة التي يحملها التقدم الغربي « والحضارة النصرانية » ونظرة إلى كل من عقيدة الشعوب العربية وحضارتها بأنها بدائية من الناحية المادية وفقيرة من الناحية الروحية .

ولما واجهوا مقاومة غير متوقعة لعملهم التنصيري الصريح وتأثروا بالحاجة للعمل الطبي والتعليمي فإنهم سرعان ماحولوا تركيزهم إلى المدارس والعيادات . ورجوا بهذه الوسائل أن

يسدوا الحاجة وفي الوقت نفسه يكسبون القبول لمهمتهم في تحويل الناس إلى النصرانية . وقد التحق بالبعثة أساتذة ذوو فصاحة وإخلاص ليشرعوا في برنامج تعليمي طموح ومن هؤلاء جون فان اس (التحق بالعمل ١٩٠٢) وديرلك دايكستر (عيّن في ١٩٠٦) وإدوين كالفرلي (عيّن في ١٩٠٩) . كما أرسل عدد من الأطباء المتمرسين والمدرّبين ليؤسسوا المستشفيات والعيادات وليقدموا الجانب الطبي المنظم من نشاط البعثة ومن هؤلاء الأطباء : ستانلي مايلريا (عين في ١٩٠٦) وبول هاريسون (عيّن في ١٩٠٩) والينور كالفرلي (١٩٠٩) . ولكن وكما حذّر جون فان إس عام ١٩١٣ «لدينا مستشفيات ممتازة ، ونحن فخورون بأطبائنا ، ونحن في طريقنا ليكون لدينا مدارس فعالة . ونحن إذ ندفع هذين النشاطين كوسيلة لهدفنا وهو جعل المسيح ملكاً» .[١]

وباستمرار المنصرين في عملهم أصبحوا أكثر طلاقة في اللغة العربية ، وأكثر معرفة بالعادات والآداب العربية ، وأكثر افتتاناً بالجمال الساحر لهذه البلاد القديمة والغريبة . وقد كتبت

---

(١)
John VanEss," What Are We Here For ? " in Neglected Arabia no, 86, July - September, 1933, p.17.

إلينور كالفرلي عام ١٩١٥ غارقة في الذكريات حول وصولها إلى الشرق الأوسط تقول :

« كيف استطيع أن أتذكر تلك اللحظة المثيرة عندما وقعت عيناي أول مرة على الأرض العربية . أول منظر حقيقي لقافلة على شواطىء قناة السويس ، النظرة الأولى لمسلم يصلي في المكان نفسه ، رائحة الصندل الممتزجة مع روائح كثيرة لايمكن وصفها في السوق الهندي ، كل هذا قد أتى بفرحة غامرة في تحقيق حلم دام التحضير له سنوات » .[1]

بينما كانت التقارير الأولى للمنصرين طافحة بالإشارة إلى المجاري العفنة وعادات المعيشة السيئة لدى العرب فإن تقارير عام ١٩٢٣ تتضمن صوراً فوتغرافية لرث وراشيل جاكسون يبتسمون في لباس الرأس العربي وهم يساعدون في حصاد القمح بمنجل من النوع ذاته الذي استخدمته روث Ruth ذات الشهرة الإنجيلية [1]. وبمرور الوقت رأينا صوراً أكثر وأكثر للمنصرين باللباس العربي وقرأنا تقارير أكثر بلاغة وإثارة عن

---

(١)

Eleanor Calverley, in Neglected Arabia, no.95, October - December, 1915, p.17.

(٢)

Photograph printed in Neglected Arabia, no. 126, July - September, 1923, p.11.

زيارات للمشاهد الجميلة والتاريخية في كل الجزيرة العربية وكذلك أصبح المنصرون أكثر تودداً وقرباً من الصوت الندي للمؤذن والدفء الطبيعي وكرم مضيفيهم العرب .

وبعدئذ ونتيجة لسنوات الركود الكبير بدأ المنصرون يشعرون بانفصامهم عن الغرب بازدياد لامبالاته وأخيراً العداء في الوطن تجاه النشاط التنصيري في الخارج . إن الركود التجاري الذي أجبر المنصرين على تقليص نشاطاتهم التنصيرية وبصفة أساسية في الميدان التعليمي والذي كان مصحوباً بما أسماه بننق « بالركود الروحي » حيث تخلى المجتمع الغربي عن كثير من قيمه القديمة وعقائده في هذا التطور . وفي مكان هذه القيم والعقائد نماموقف انعزالي تجاه أي تدخل فيما وراء البحار وانتشرت المادية الساخرة في البلد الأم . وكان على المنصرين أن يصلوا إلى اتفاق مع المادية الغربية بعد اكتشاف النفط في الشرق الأوسط في أوائل الثلاثينات حيث أن المادية لحقتهم في الخليج في صورة رجال النفط ورجال المبيعات وغيرهم من الباحثين عن الثروة . لقد أحضر مبعوثو الغرب هؤلاء معهم فيضاً حسّن المستوى المادي للحياة من جهة وحطم نظام القيم الإسلامية التقليدية من جهة أخرى .

فالمنصرون الذين رأوا أنفسهم يوماً بأنهم المناصرون للعلوم

الغربية الحديثة والطب ضد الخرافات والجهل الإسلامي قد وجدوا أنفسهم في محاولة لحماية الشرق الأوسط ضد المادية الشديدة التي جلبتها تكنولوجيا الزيت في طريقها . فقد قام رجال أمثال بول هاريسون ولويس ديم وهارولد ستورم برحلات واسعة في الجزيرة يحاولون دون جدوى نشر النصرانية ويحدون من تأثير المادية الغربية . وفي ذلك كتب ستورم عام ١٩٣٨ قائلاً : « صليب المسيح ليس مرتبطاً بالهلال المتلاشي أكثر مما هوضد المادية وعدم الإيمان والفخر والشهرة التي تحصل اليوم على دعم من هيبة الغرب الاقتصادية والسياسية » .[١]

وهكذا دخلت البعثة الربع الثالث من القرن العشرين وهي تحارب بلا جدوى ضد التأثيرات الغربية الأخرى في الشرق الأوسط . وحتى تستمر نشاطاتها الأخرى معتمدة على ذاتها مادياً فإن البعثة قد قبلت العلمنة أولاً وأقلمت نفسها مع احتياجات المجتمع المتدفق الجديد أو كان عليها أن تواجه النهاية.**واستمر فشل البعثة في تحويل أي عدد ذو قيمة**

---

(١) ستورم . مرجع سابق ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(في هذا الكلام الكثير من الصحة حيث إن المنصرين أنفسهم عانوا من الغرب وماديته بيد أنهم يلتقون في محاربة الإسلام ومع ذلك فإن فشلهم في إنقاذ الغرب من ماديته لم يوقف حماستهم لدعوتهم في ديار المسلمين) . (المترجم) .

من المسلمين إلى النصرانية منذ وصولها الخليج قبل نيف وسبعين سنة لذلك تحولت البعثة إلى دور دعوي جديد وهو وعظ الجاليات الجديدة من المتعاقدين النصارى الذين أتوا إلى الخليج من الخارج وهكذا وبحلول عام ١٩٧٣ تم التخلي عن الهدف الأصلي الذي وضع عام ١٨٨٩ لتنصير الجزيرة وبهذا انتهى فصل هام في الحوار المستمر بين الشرق والغرب .

وخلافاً لكثير من المواجهات بين الشرق والغرب تبدو تجربة البعثات التنصيرية البروتستانتية مفيدة لكلا الطرفين ، وقد تركت قليلاً من الحقد أو الشعور السيء في إثرها . إنه من المغري أن نقارن سجلات المنصرين مع صليبيي القرون الوسطى الذين جاؤوا إلى الشرق الأوسط « لتحقيق المجد الأعظم للمسيح » فحيثما استخدم المنصرون الأدوية والكتب المدرسية استخدم الصليبيون النار والسيف ووجدوا استقبالاً عدائياً ولذلك اتجهوا إلى تخريب البلاد ، وقد قدّم ستيفن رانسمان مناقشة مقنعة بأن الصليبيين كانوا حقيقة بعيدين عن تحقيق أي تقدم لأهداف النصرانية في الشرق الأوسط بل إنهم فعلاً تسببوا في تراجعها وأسهموا في سرعة سقوط القسطنطينية . وفي الوقت نفسه فإن الحروب لم تتسبب في تدمير كبير في حياة العرب

وممتلكاتهم ولكنها أيضاً عملت الكثير في إبطاء تقدم الحضارة الإسلامية وتطورها . إن النتيجة الخالصة كانت سلبية لكل من الشرق والغرب .[1]

وهناك تغاير بيّن بين مجد الفارس الأصلي الداوي وبين صليبيي العصر الحاضر ذلك أن منصري البعثة العربية قد جلبوا معهم تبادلاً ثقافياً أكثر إنتاجية فقد كسبوا القبول والثقة أولاً لدى العديد من الحكام العرب المتنورين ، وبعدئذ عامة الشعب وجادلوا بإقناع وفعالية من أجل حب أعظم في العلاقات الإنسانية ، وطريقة جديدة في الطب الحديث . وكما كتبت زهرة فريث في مذكرات طفولتها في الكويت حول البعثة تقول : « منذ تأسيس البعثة في الكويت والدكتور مايلريا وزملاؤه يعملون دون توقف لإقناع الشعب بفعالية الطب الغربي والحاجة إلى عناية ماهرة مباشرة في الأمراض المتوطنة التي بلغت مايزيد على المئة التي تسببها الأحوال المعيشية من فقر وقذارة لسكان المدن والصحراء . إن الحقيقة بأن الأم العربية اليوم تأتي مختارة بطفلها ليعطى التطعيمات ما هي إلا إحدى نتائج عمل أربعين

---

(١)
Stephen Runciman, A History of the Crusades (Vol.3) (Cambridge, 1951), Conclusion.

سنة من التعليم الذي قامت به مستشفيات البعثة » .[1]

هناك أسباب عديدة لماذا كان المنصرون فعالين في اكتساب القبول في مثل هذا المجتمع الإسلامي التقليدي . ففي المقام الأول كانت نظرة معظم العرب إلى أن تدخلهم أمر يخلو من الدوافع الأنانية الخفية كما تحدث مبارك العظيم (بصورة تكاد تكون مسرحية) إلى الكويتيين عام ١٩١٣ بأن المنصرين لم يكونوا سياسيين يبحثون عن القوة أو دبلوماسيين يبحثون عن الامتيازات أو دوائر النفوذ أو حتى رجال أعمال يسعون وراء الربح . إنهم كانوا معلمين وأطباء دافعهم هو الدين . إنهم كانوا بالطبع يبحثون عمن يحولونه إلى النصرانية . وفي مجتمع متدين جداً كان الكثير من أفراده ينظر إليهم بريبة من أجل هذا الأمر . ولكنهم لم يجعلوا التنصر شرطاً للدخول في مدارسهم أو الحصول على العلاج في مستشفياتهم وعياداتهم ولذلك فمن خلال هذه النشاطات تلقوا الدعوات من حكام أكثر وأكثر لزيارة بلادهم وبالتدريج اكتسبوا قدراً لم يسبق إليه من الثقة والاحترام من الجمهور الذي خدموه ، وبناء على رأي زهرة فريث فإن هذه العلاقات الحميمة لها الفضل جزئياً في استمرار العلاقات الطيبة بين الكويت وبين الغرب اليوم :

---

(١) Zahra Freeth, Kuwait Was My Home (London,1956),p.8o

« لقد قام الدكتور مايلريا بعمل مايستطيعه أي رجل من أجل تعزيز الصداقة بين الكويتيين والبريطانيين والأمريكان في سنوات من خدمته التي اتسمت بالإيثار والصبر . ففي الوقت الذي كان المواطنون يرتابون في كل الأجانب قدم لهم الدكتور مايلريا مثال الأمانة والاستقامة وأعطاهم المعيار الذي يحكمون به على العزيمة وباكتسابه ثقتهم واحترامهم مهد الطريق للعلاقات الجيدة التي تظهر بوضوح هذا الوقت بين العرب والمجتمعات الأنجلو ـ أمريكية في وسطهم » .[1]

ومازلت البعثة العربية تواجه قدراً معتبراً من المقاومة من القادة الدينيين ومن عامة الشعب وحتى لو اقتنع القادة العرب بسرعة بحسن نيات المنصرين وكمايقول المثل : « النيات الحسنة تمهد الطريق إلى الكارثة » . إن الحقيقة بأن المنصرين قد أتوا معهم بشيء يعترف العالم جميعه بالحاجة إليه وهذا هو المفتاح الثاني لنجاح المنصرين وقبولهم . ومن ذلك إصابة ابنة الشيخ مبارك التي كادت تؤدي إلى العمى بسبب التهاب في العين وموت المئات من الجنود الكويتيين بسبب جراحاتهم بعد معركة الجهرة . هذه الأمور قد جعلت المسألة واضحة للكويتيين وحتى أكثرهم تمسكاً بالتقاليد بأن مجتمعهم التقليدي يحتاج طباً أقوى

---

(١) المرجع نفسه ص ٨٠ .

مما يمتلكه . فعندما نجح الدكتور بنت Bennet في إنقاذ نظر ابنة الشيخ ، ونجح الدكتور مايلريا في العناية بالجرحى من الجنود الكويتيين المائة والعشرين عدا أربعة منهم . كل هذا أدى إلى أن تصبح النظرة في صالح أطباء البعثة حتى لدى أكثر الناس ريبة هل هناك هدية أعظم من نعمة الصحة والبصر . [1]

كان تعليم العلوم الحديثة وتدريسها باللغة الإنجليزية الذي قدمته البعثة كان مطلوباً جداً وبخاصة في فترة مابعد الحرب العالمية الأولى ولذلك كانت مدارس البعثة تجد قبولاً حسناً في العراق والبحرين والكويت . فقد واصل الآلاف من خريجي مدرسة البصرة ليدخلوا مجالات عملية بنجاح في الأعمال والسياسة ، وتزعم تقارير البعثة أن الألفي طفل الذين تخرجوا في مدرسة البعثة حتى عام ١٩٣٨ قد أصبح « بعضهم أطباء ، وأطباء أسنان ، ومدراء ، ورؤساء كتاب ، ومترجمين ، ومعلمين

---

(١) لاشك أن الخدمات الطبية التي قدمها المنصرون كانت كبيرة وذات قيمة في مجتمعات كانت في أمس الحاجة لها . لكن الذي لم يذكره المؤلف عن وسائل المنصّرين في عرض دينهم بأساليب مستهجنة وسخيفة ، على المرضى . وكذلك المدارس التي أنشؤوها أدخلوا في مناهجها الحديث عن النصرانية بأسلوب واضح يراجع في هذا :عبد المالك التممي ـ التنصير في الخليج العربي . و سعيد محارب المهيري ـ الغزو الفكري في الخليج العربي رسالة ماجستير مخطوطة . (المترجم)

وإنهم يحصلون على مرتبات جيدة ، وباستثناءات قليلة جداً **فإنهم جميعاً قد ارتقوا في السلم الاقتصادي وكثير منهم قد أصبحوا قادة في دولهم »** .[1] ومما يذكر للبعثة أنها بذلت جهوداً حقيقية من البداية ليس فقط لتلبية حاجاتها هي ، ولكن لتلبية احتياجات المجتمع ، حتى وإن كان مرور الوقت قد أوضح كثيراً بأن احتياجات الجانبين لم تكن ذات علاقات متلازمة .

وفي نطاق تلبية احتياجات المجتمع العربي قام المنصرون بتقديم الخدمات الطبية والتعليمية مجاناً . ولكن كان هناك تفسير ثالث محتمل لنجاحهم ويمكن وجوده بصورة معقدة في الحقيقة أن هذه السياسة لم تكن متعبة إلا عندما يعجز الطلبة والمرضى عن القيام بالدفع . ومع أن المنصرين لم يسعوا بصفة عامة إلى الحصول على مساعدات سياسية أو مالية مقابل خدماتهم ولم يحاولوا أن يطلبوا مقابلاً لخدماتهم الطبية من الفقراء ولكنهم حاولوا كلما كان ممكناً أن يفرضوا رسوماً على القادرين لقاء الخدمات الطبية . ولم تكن الإيرادات المتحصلة من هذا الطريق مجزية في تحمل التكاليف ، ولكن شعر

---

(١)
Muallim Aziz Mukhtar, in Neglected Arabia, no.183,October - Dec. 1938,pp.11-12.

المنصرون بأن التقدير لخدماتهم سيكون أكبر إذا ما قدموا للمرضى شيئاً مقابل ما دفعوه من رسوم . فالصدقة تقبل دائماً بامتعاض ولو على الأقل لاشعورياً من قبل المتصدق عليه . وعادة ما تثير شيئاً من الاستعلاء الحقيقي أو المتخيل نحو المتصدق . وقد اهتم المنصرون بمنع هذين العائقين ويبدو أنهم كانوا ناجحين تماماً في هذا الأمر دون تقليص خدماتهم لدرجة كبيرة .

ويقول بول هاريسون عن موقفه لشرح محاولة البعثة لجعل المستشفى في مطرح قائماً بنفسه عن طريق تحصيل الرسوم : « الحصول على المال دون حق أمر خطير وسيء » .[1] فقد نظر مواطنو مسقط ومطرح إلى مستشفى البعثة، كما شعر هاريسون بأنه مستشفاهم فلم يكن في نظرهم جسماً أجنبياً مزروعاً في بلدهم مادامت الرسوم التي يدفعونها تقوم بمعظم تكاليفه . وقد كتب هاريسون في الثلاثينات عن مطرح قائلاً : « إن المستشفى الذي عليه أن يحصل على رسوم ويقوم بتكاليفه ينظر إليه بحب حقيقي على أنه مؤسسة محلية وللمدينة الفضل في وجوده ».[2]

وبمرور الوقت كان كثير من المنصرين مازال يقبض رواتبه

---

(١) Dr. Paul Harrison , Doctor in Arabia (Ney York, 1940). p.63.

(٢) المرجع نفسه ص ٦٥ .

من مجلس البعثات التنصيرية العالمي ، ولكن تكاليف برنامج مستشفيات البعثة قد أصبح اعتماده متزايداً على المصادر المحلية . بل إن البعثة تلقت تبرعات كبيرة من مساهمين محليين لبرنامج البناء . ففي البحرين والكويت كانت رسوم المرضى قد أصبحت قادرة على سد نفقات المستشفى بحلول الستينات .
وقد بدأ برنامج الرعاية الكنسية يعتمد على نفسه وفي أوائل السبعينات أصبح التجمع الكنسي في الكويت مستقلاً عن نيويورك ، وكانت البحرين ومسقط في طريقها إلى ذلك وبخطى جيدة . وبالرغم من أن حكومة الكويت كانت غير راغبة في تمويل المستشفى عام ١٩٦٧ إلا أن عدة مجموعات من رجال الأعمال في القطاع الخاص تقدموا للمساعدة . وقد تعلمت حكومة البحرين من الدرس الذي تلقته بقفل مستشفى الكويت فقررت تقديم دعم سنوي لمستشفى البعثة في المنامة مقداره خمسة وعشرون الف دينار بحريني وفي إجراء شبيه وافقت حكومة عُمان على دمج مستشفى مسقط ومُطرح في برنامج الحكومة الصحي عام ١٩٧٠ وتولت هي التكاليف التشغيلية .
لقد كان هناك مساعدة معتبرة في السنوات الأخيره لكنيسة البعثة حتى من أكثر أعضاء المجتمع الإسلامي التزاماً . وعندما قامت البعثة بحملة لبناء أبرشية وتوسعة لكنيسة الكويت عام

١٩٥٧ جاء ت معظم التبرعات من المجتمع الكويتي . وكان أحد كبار المتبرعين في الواقع هو الشيخ الجنعي أحد كبار القادة الإسلاميين احتراماً . ولقد برّرالشيخ يوسف هذه المساهمة لكنيسة المجتمع النصراني في حديثه للقس دونالد ماكنيل قائلاً :« إن بيت العبادة هو بيت السلام » .[١] وهذه ملاحظة مناسبة وبخاصة في السنة التي تلت أزمة السويس .

وبتقلص رصيد البعثة وضموره من الحماسة والاهتمام والتأييد في الولايات المتحدة فإن البعثة أصبحت أكثر ارتباطاً بالمجتمع الإسلامي الذي تخدمه . وبمرور السنين أصبح المنصرون يشعرون بأنهم أكثر انتماءً للشرق الأوسط منهم لبلدانهم الأم . وكانت عملية التقاعد مؤلمة ، وقد رحب كثير من المنصرين بفرصة العودة إلى العمل بعد تقاعدهم كأطباء مقيمين أو معلمين ليحلوا محل المنصرين الحاليين حينما يكونون في إجازة عادية أو إجازة مرضية . هذه الدرجة العالية من الارتباط بالشرق الأوسط كانت من عدة نواحٍ عائقة لفعالية المنصرين حيث إنهم اكتسبوا تسامحاً لا فيكتورياً نحو الحضارة الإسلامية والتقاليد

(١) أشير إليه في مقابلة القس إل . آر . سكودر الابن في برونزويك ،٢٢ فبراير ١٩٧٧م .

الشرق أوسطية . ولكن من نواح أخرى كان هذا الانتماء للشرق الأوسط مصدر قوة وقدرة على التكيّف وبدون شك سبباً آخر لوضع البعثة الفريد في الحصول على الثقة والاحترام في العالم العربي . فالإسلام يجب أن لا يؤخذ بهجوم عاصف أو عن طريق شخصيات ديناميكية مثل « ضيف الله »* [زويمر] الذي ترك الميدان بهدوء بعد عشر سنوات منسحباً إلى القاهرة ثم عائداً إلى الولايات المتحدة حيث اقتصر عمله في البعثة العربية على نشاطات مثل توظيف المنصرين وجمع التبرعات . لقد أصيب زويمر بصراحة بالخيبة نتيجة فشل البعثة العربية في ضمان متحولين إلى النصرانية . وفي كتبه الأخيرة مثل :
« الإسلام تحد للإيمان » ، « وتحطيم الاسلام » كانت بالرغم من إظهارها معرفة علمية بالعالم العربي إلا أنها تختلف عن كتابات جون فان اس وبول هاريسون في أن الأخيرة لاتبدي أي تعاطف أو حب نحو المسلم كمسلم وللمجتمع الإسلامي .[٢]

---

(٢) تختلف كتب زويمر (وعناوينه) بوضوح عن الدراسات المتعاطفة كالتي كتبها جون فان إس قابل العرب Meet the Arab (نيويورك ، ١٩٤٣) و كتاب بول هاريسون العرب في وطنهم The Arab at Home(كورنل ١٩٢٤) وطبيب في الجزيرة Doctor in Arabia(نيويورك، ١٩٤٠) .

* ويلاحظ أن أهل المنطقة كانوا يطلقون عليه لقب « عدو الله » .

وقد كتب القس أدوين لويدنز Edwin M. Luides مستغرقاً في ذكرياته حول سنواته الأولى في البحرين في أواخر الأربعينات يصف الإحباط الذي أصابه لعدم نجاحه في تنصير المسلمين بالرغم من أنه جاء إلى الجزيرة وهو على علم تام بالسجل التاريخي لفشل العمل التنصيري حيث كانت شهوره الستة الأولى فترة محاولات ولذلك قام بول هاريسون بتطمينه بأن التحويل الجماعي أو السهل كان مايزال غير ممكن في الجزيرة العربية فيجب عليك أن تكسب احترام الناس وثقتهم وأن تفهم وجهة نظرة العرب وطريقتهم في الحياة . وكما أصبح الدكتور لويدنز ينظر إلى الأمر فيما بعد بأن هذا التعاطف كان مبنياً على علاقة لصيقة تستغرق وقتاً من الاحتكاك القريب والاحترام المتبادل . وبصورة صحيحة ظاهرياً لم يستطع لويدنز أن يصبح منصراً فعالاً إلا بعد استبطان وجهة النظرة الإسلامية ويدع إحساسه بأنه نصراني جاء لتحويل المسلمين إلى النصرانية فالاتصال الفعال يمكن تحقيقه بالإشارة إلى المعتقدات والتجارب العامة والمشتركة وليس إلى الاختلافات . وهكذا استطاع أن يتحدث إلى الآباء حول مشكلة تربية الأطفال ويناقش مع المعلمين أكثر الوسائل فعالية في الوصول إلى الطلاب . ويستطيع أن يناقش مع أي عربي بصفتهما مواطنين لدولتين

حديثتين المسؤوليات الدينية وما كتبه المسيح أومحمد(صلى الله عليه وسلم) حولها . وهكذا وبعد عدة سنوات أصبح يقدر الثقافة الإسلامية وكذلك أصبح المسلمون يقدرون النظرة النصرانية وأصبح كلاهما على شفا التحول إلى عقيدة الآخر . واستطاع أن يشعر أخيراً بأنه كسب القبول وأصبح منصراً ناجحاً .[١]

ومع ذلك فربما كان السبب الأكثر أهمية في موقف المنصرين حول الثقة والاحترام يتم بصورة صحيحة ظاهرياً في طبيعتهم الدعوية . فكما لاحظ بول هاريسون بدهشة عندما كان يزور الرياض عام ١٩١٨ وماوصفته السيدة فان بيورسم Van Peursem خلال زيارتها له في أواخرChamberlain لشامبرلين عام١٩٣٣[٢] لأنه بصفته عضواً في طائفة صلبة التدين وداعية استطاع أن يحترم ويثق في أعضاء مجموعة شبيهة حتى لو لم يتقبل هذا الدين .

---

(١) مقابلة مع القس ادوين لويدنز Luidens في تينك . نيوجرسي Teeneck في ٢١ فبراير ١٩٧٧ .

(٢)

Paul Harrison in Neglected Arabia,no.104,January - March,1918, p.5 and Mrs Van Peursem in Neglected Arabia no.166,October-Dec. 1933, p.9

ربما فشل المقيمون السياسيون البريطانيون في الخليج أن يدركوا هذه النقطة في تعاملهم مع السعوديين وعرب الخليج . فقد كتب جميس بلقريف James Belgrave الذي كان صديقاً حميماً ومستشاراً لحكام البحرين رسالة إلى الكابتن سي جي بريور C.G.Prior في وزارة الخارجية عام ١٩٢٩ « بعد إحدى عشر سنة من رحلة هاريسون إلى الرياض وأربع سنوات قبل رحلة السيدة فان بيورسم قائلاً :

« أعتقد أن موقف الجمهور ودي تجاه البعثة بسبب عملها الطبي بيد أنه كان هناك بعض المعارضة ذات أساس ديني ، وهي مسألة مبدئية أكثر منها تخوف من تحول المحمديين [المسلمين] إلى النصرانية » .[١]

عندما جاءت شركة الزيت العربية الأمريكية إلى السعودية في أواخر الأربعينات لتبدأ عملياتها في الدمام ، قريباً من البحرين استفسروا من بلقريف عن كيفية إقامة علاقات جيدة مع السعودية . ونصحهم بلقريف أن يظهروا احترامهم للإسلام

---

(١)
James D. Belgrave , letter to Captain C.G.Prior , dated Bahrain 22 December 1929 (India Office Library of Records,London) R/15 2/1/32 p. 2.

بالامتناع اختيارياً عن مناقشة النصرانية أو إقامة شعائرهم على أرض الجزيرة . وقد اتبعت أرامكو هذه النصيحة ، لذلك كان على رجال أرامكو الراغبين في إقامة الطقوس النصرانية أن ينتقلوا إلى البحرين بالقوارب ولم تقم هذه الشعائر على الأرض السعودية هذا الدليل على الكفر هو الذي أشار إليه السعوديون كثيراً في محادثاتهم مع المنصرين الذين تجولوا في المنطقة على أنه أحد الأمثلة على الفقر المعنوي لدى رجال البترول الماديين(١) . وحينما يضيع الاحترام الشخصي بهذه الطريقة فبالطبع يصعب استعادته .

وهكذا استطاع المنصرون البروتستانت من بين كل الغربيين الذين اتصلوا بعرب الخليج في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين أن يكون لهم موقف فريد تميز بالصداقة والثقة والاحترام . لقد سمح لهم بإدارة مدارسهم ومكتباتهم التجارية ومستشفياتهم وعياداتهم في وسط أكثر المجتمعات الإسلامية تمسكاً . فالقادة أصحاب النظر البعيد أمثال الملك عبد العزيز بن سعود ملك السعودية أو الشيخ مبارك العظيم أمير الكويت شعروا بأنهم يستطيعون أن يوفروا لأنفسهم الإفادة من الحضارة الغربية دون أن يمزقوا حياتهم

---

(١) مقابلة مع القس ادوين ام . لويدنز تينك نيوجرسي ٢١ فبراير ١٩٧٧ .

الإسلامية التقليدية . أما المنصرون فهم من جهتهم كانوا على أمل أنه من خلال مستشفياتهم ومدارسهم ومتاجر الكتب واتصالهم اليومي مع الشعوب الإسلامية في الخليج على أن يحصلوا على من يقبل التحول إلى النصرانية .

وفي النهاية كان الطرفان مخطئين . فقبول العرب الطب الغربي والعلوم الغربية يبدو أنه يتضمن إضعافاً للإسلام الذي يرى نفسه ليس ديناً منفصلاً عن الحياة اليومية الدنيوية ولكنه طريقة للحياة تشمل كل شيء وتشرح كل شيء . وهكذا فالاتجاه نحوالغرب من أجل التقدم العلمي والمعرفة الطبية عرّضت الإسلام إلى تحديات وتساؤلات متطرفة . ولكن انحلال المجتمع الإسلامي التقليدي لم يكن إعلاناً لانتصار النصرانية ، ولكنه أشار إلى انتصار العلمانية والمادية على كل من النصرانية والإسلام . وبينما كان المنصرون يعملون في الخليج كان المجتمع الغربي في بلاده قد مرّ بتحولات مماثلة استبدل فيها بقيمه وأنظمته السابقة عبادةً حقيقية للعلم والتكنولوجيا .

وهكذا فمن ناحية هدف البعثة العربية الأساس الذي هو تنصير الجزيرة فيجب أن نعد البعثة فاشلة .وبحلول عام ١٩٧٣ وبعد أربع وثمانين سنة من العمل فإن البعثة تزعم تنصير حوالي أربعة وخمسين شخصاً (اثنين في الكويت واثني عشر في البحرين ،

وحوالي أربعين في مسقط معظمهم من ملجأ بيتر زويمر للأيتام الذين كانوا عبيداً) .[1]

إذا كانت البعثة قد فشلت في جانب إلا أنها حققت بعض النجاحات المذهلة كذلك حتى لو لم تكن تهدف إليها . وبحلول عام ١٩٧٣ وبعد كل ذلك كان رعاة الكنيسة الإصلاحية يخدمون تجمعات كنسية تتحدث العربية وأخرى تتحدث الإنجليزية في الكويت ومسقط والبحرين بلغ تعدادها حوالي ثمانمئة شخص . وفي حقل التعليم أعدت البعثة حولي سبعة آلاف وخمسمئة طالب للعمل بنجاح في مجالات الأعمال والسياسة والمهن ، ولديهم الآن خمسمئة طالب يدرسون في مدارسهم في البحرين ومسقط . وتعد مكتباتهم التجارية في الكويت والبحرين ومسقط أفضل المكتبات في المدينة التي توجد فيها ، ويبرهن على شعبيتها إيراداتها الشهرية التي تبلغ مجتمعة ثلاثين ألف دولار .

---

(١) ربما بسبب أرقام المتنصرين التافهه كانت تقارير المنصرين غامضة حول هذا النوع من المعلومات الإحصائية . وخارج ادعاء هاريسون عن تنصير خمسة أشخاص في تمبران عام ١٩٣٨ ليس هناك أي محاولة واضحة أستطيع أن أجدها لأقدم احصاءً دقيقاً للمتنصرين من الإسلام نتيجة لجهود البعثة العربية .

أما الأرقام التي أعطيت أعلاه فهي تقديرات تقدم بها ال . آر . سكودر الابن في يونيه ١٩٧٤ وتبدو أنها متساوقة مع المعلومات الأخرى المتوفرة .

من المغري أن يتأمل الإنسان الأثر الذي تركته عمليات البعثة في مكانة المرأة في الشرق الأوسط . فكثير من أطباء البعثة وممرضاتها كن نساء ذوات ثقافة عالية واكتسبوا الاحترام والهيبة لدى العرب . وكثير من طلبة مدارس البعثة كن من البنات العربيات اللاتي لولا البعثة لما حصلن على التشجيع لتعلم القراءة و الكتابة أو التعبير عن أنفسهن علانية . فمعظم هؤلاء البنات ربما واصلن ليصبحن ممرضات ، أو مدرسات ، أو طبيبات . ولسوء الحظ فمذكراتهن لاتزال غير متوفرة لنا ، ولكن التأثير الهام الذي يمكن أن تكون البعثة قد تركته في حياة كثير من النساء في الخليج يمكن تخيله .(١)

ولقد كان للبعثة تأثير في حقل الطب حيث حققت مستوى أفضل في الصحة الفردية والنظافة العامة وهو تأثير جدير بالاهتمام إذا كنا نثق بالتقارير التي قدمّها كل من زهرة فريث Freeth وجيمس بلقريف .ففي الكويت كان مستشفى

---

(١) تأثير نشاط البعثات التنصيرية في الخليج « تفي تحرير المرأة » يبدو هذا مجالاً ممتازاً لدراسات مستقبلية .

(لاشك أنه أجريت دراسات كثيرة في هذا المجال منذ ذلك الحين ومنها دراسة قام بها أستاذ عربي كان يدرّس في إحدى الجامعات في دولة من دول الخليج ونشرت في صحيفة Christian Science Monitor) المترجم .

البعثة هو المستشفى الوحيد من ١٩١١ حتى ١٩٤٩ وكانت ماتزال توفر المختصين لتقديم الاستشارات للمساعدة في تطوير الخدمات الصحية الحكومية . وفي العراق عالجت البعثة ملايين المرضى في مستشفياتها في البصرة (١٩١٠ ـ ١٩٢٦) وفي العمارة (١٩٢٦ ـ ١٩٥٨) . وفي السعودية وأجزاء من الإمارت المحمية قدّمت البعثة مساعدات طبية قيمة عن طريق برنامج الرحلات منذ نهاية الحرب الأولى حتى ظهور البترول . وفي البحرين شيدت البعثة أول مستشفى خليجي ومازالت عاملاً أساسياً في برنامج البلاد الصحي وذلك بمستشفاها ذي المئتي سرير والمجهز جيداً بالموظفين والإداريين . وفي مسقط مازالت البعثة هي الأساس في العناية الطبية في البلاد التي كانت تعاني من أمراض عديدة ومشكلات صحية خطيرة .

وعلى العموم فإن الحكم من الأرقام التي تقدمها التقارير الميدانية الفصلية للبعثة من سنة ١٨٨٩ حتى ١٩٧٣ نجد أن البعثة قد عالجت أكثر من اثني عشر مليوناً ونصف من المرضى، وهذا ليس إنجازاً قليلاً في حق مجموعة صغيرة لاتتجاوز ٩٠ رجلاً وامرأة .

وربما كان تفسير بول هاريسون في النهاية من أنه بالرغم من النقص في التنصير فإن عمل البعثة في خدمة العرب قد أصبح

مبرراً لذاته هو أفضل وصف للكيفية التي أصبحت البعثة تنظر فيها إلى نفسها في النهاية . ومن المؤكد أن ماكتبه جون فان اس عام ١٩٧٢ بعد ربع قرن من الخدمة التنصيرية يعبر عن شعور كثير من المنصرين :

« في اليوم الثامن عشر من اكتوبر ١٩٠٢ وقفت في مؤخرة السفينة البخارية من خطوط انكور المسمّاه كولمبيا وراقبت شواطىء أمريكا تختفي تدريجياً . يبدو ذلك كأنه كان بالإمس ولم أشعر مرة واحدة خلال ربع القرن الذي مضى بوخزة ألم واحدة للقرار الذي اتخذته بالذهاب إلى الجزيرة العربية ، ولم أشعر مرة واحدة بأنني قدمت تضحية لقيامي بهذا العمل » .[١]

وكثير من العرب من الشيخ عيسى بن سلمان إلى مبارك العظيم قد كتبوا بدورهم شهادات يعبرون فيها عن امتنانهم واحترامهم للعمل الذي قامت به البعثة العربية وهذه البعثة لم تتبع الخطة التي رسمها لها مؤسسوها الأول عام ١٨٨٩ ولم تحقق هدف البعثة الأصلي .ولكن عملها في الميدان والتغير في الأوضاع التاريخية التي وجدت نفسها تمر بها فرضت عليها

---

(١)
John Van Ess," Reflections of a Quarter Century " in Neglected Arabia, no. 146, July - September,1928.

طريقة عمل ومجموعة جديدة من الأهداف التي وجد فيها المنصرون إشباعاً ذاتياً . وقد تركت البعثة آثاراً أكثر بعداً في المجتمع الإسلامي في الخليج العربي . وهكذا إذا كانت النظرة للبعثة بأنها فشلت من جهة فهي من جهة أخرى تمثل أحد الأمثله الأكثر إشراقاً للحوار الثقافي بين الشرق والغرب في العصور الحديثة .

وقفات مع هذه الرسالة

كنت أود أن أضيف فصلاً عن التطورات التي حدثت في ميدان التنصير منذ انسحاب البعثة العربية من دول الخليج العربي سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م . ولكنني وجدت أنّي لا أملك أدوات البحث بالاضافة إلى الجهد الذي سأقوم به قد يكون تكراراً لجهد إخواني الباحثين في هذا المجال أمثال الدكتور عبد المالك التميمي والدكتور سعيد حارب المهيري والأستاذ أحمد فون دنفر وغيرهم . لذلك فضلت أن أكتب هذه الصفحات الموجزة تصحيحاً وتوضيحاً لما جاء في هذه الرسالة مع إشارة موجزة إلى بحوث من ذكرت بشأن تطور العمل التنصيري حتى تكون الفائدة أتم ولئلا يقال إننا نقدم تاريخ التنصير من وجهة نظرة المنصرين أنفسهم وإن كان هذا الأمر مفيداً في حد ذاته ، لكن لابد لنا من وقفات مع ما كتبوا ويكتبون عنا .

وفي هذه الوقفات مع الرسالة يود المترجم أن يوضح أن عمل الباحث الأمريكي اتسم بعدة سمات إما عن جهل أو عن عمد أو إن طبيعة بحثه تقتضي ترك هذه الأمور ومن هذه السمات مايلي :

أولاً : إغفال كثير من الحقائق حول بداية عمل البعثة العربية .

ثانياً : عدم الحديث عن رد الفعل الإسلامي وأثره في عرقلة نشاط البعثة العربية بخاصة والتنصير بعامة .

ثالثاً : إيراد مواقف بعض حكام الخليج المؤيدة للبعثة العربية وإهمال مواقفهم الصلبة في منع بعض النشاطات التنصيرية عدا ذِكرْه لموقف الملك عبد العزيز من رفض السماح للمنصرين بإنشاء محطات لهم في المملكة .

رابعاً : الغموض في الحديث عن ارتباط العمل التنصيري بالسياسة الاستعمارية والمخططات الاستعمارية في المنطقة .

ولنبدأ في توضيح هذه الأمور بإيجاز :

إولاً : لقد أغفل الباحث اتصال المسؤولين المؤسسين للبعثة العربية بالمنظمات التنصيرية المشابهة في المنطقة قبل الشروع في عملهم . وقد كان لهذا الاتصال أثره في مدّ البعثة العربية بمساعدات كبيرة في عملها وقد كان من هذه الاتصالات مايلي :

١ ـ زيارة جيمس كانتين (أحد الأعضاء المؤسسين) لبريطانيا لبحث أوجه التعاون مع إرسالية كيث فالكوينز في عدن ومن ذلك الحصول على معلومات عن الأحوال الجغرافية

والاجتماعية والاقتصادية والدينية للمنطقة .

٢ ـ الأتصال بالإرسالية المتحدة في العراق .

٣ ـ إقامة بعض رواد البعثة العربية في بيروت عدة أشهر بهدف جمع المعلومات ، ودراسة اللغة العربية وممارستها ، والاتفاق مع أحد النصارى اللبنانيين وهو كميل عبد المسيح للعمل معهم في الخليج .

٤ ـ تلقّي المساعدة من الإرساليات الأمريكية التي سبقتهم في هذا المجال والتي كانت تعمل في سوريا ولبنان .[١]

كذلك أغفلت الدراسة ذكر الانشقاقات أو الخلافات في صفوف الارسالية وقد كان بعضها مهماً وخطيراً ومن ذلك موقف الدكتور رقز فقد فصلته الإرسالية من عمله رغم أنه كان طبيباً ناجحاً . وقد ذكر أحد المسؤولين في البعثة أنه كان يخالف البعثة في بعض معتقداتها الأساسية ، ومن ذلك ألوهية المسيح ـ حسب زعمهم ـ كما عرف عن هذا الطبيب حرصه على معرفة عقيدة المرضى الذين كان المفترض فيه أن يعمل على تنصيرهم .[٢]

---

(١) عبد المالك التميمي . التبشير في منطقة الخليج العربي . الكويت : شركة كاظمة . ١٩٨٢ ص ٥٠ ـ ٥٣ .

(٢) المرجع نفسه ص ٨٤ .

ثانياً : رد الفعل الإسلامي :

عندما بدأت البعثة نشاطها التعليمي في الكويت بافتتاح مدرسة للأولاد سنة ١٩١٣ فلم يمض ثلاثة أشهر على بدأ الدراسة حتى سحب معظم الآباء أبناءهم من هذه المدرسة للأسباب التالية :

١ ـ اصطحاب التلاميذ إلى صلاة الأحد في الكنيسة .

٢ ـ تعليم الطلاب الدين المسيحي وإعطاؤهم نسخاً من الإنجيل باللغة العربية لأخذها إلى منازلهم .

٣ ـ وقد أخذت المعارضة الإسلامية صورة أخرى عندما أفتتحت البعثة العربية مكتبة لبيع الكتب الدينية في السوق الرئيس في الكويت حيث قام العلماء بإلقاء الخطب والمواعظ في المساجد محذرين من العمل التنصيري ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على تأسيس « المدرسة المباركية » في الكويت وكذلك « الجمعية الخيرية » أيضاً . وكذلك افتتحوا نادياً ثقافياً إسلامياً في البحرين باسم « النادي العربي الإسلامي » وكان من أهداف الجمعية الخيرية في الكويت استقدام طبيب وصيدلي مسلمين لمعالجة المرضى .[1]

---

(١) المرجع نفسه ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .

ويشير الدكتور عبد المالك التميمي إلى أن المنصرين أرادوا أن يقوموا بالتنصير خارج العمل الطبي عن طريق زياراتهم للأهالي ، ولكن هذا الأمر وجد معارضة شديدة من العلماء مما جعل الشيخ مبارك يصرح لأحد أطباء البعثة بأن يقصروا نشاطهم على المستشفى فقط .[1]

ثالثاً : مواقف حكام الخليج

لقد أورد الباحث الأمريكي موقفاً عظيماً للملك عبد العزيز بمنع المنصرين من العمل في بلاده ولكن كان هناك مواقف أخرى جديرة بالاهتمام وحتى يكون منصفاً للحكام الأخرين . ومن هذه المواقف ما يلي :

١ ـ لم يتوان أمير الكويت عام ١٩٠٣ عن أصدار أمره للبعثة بإغلاق المكتبة التي افتتحتها البعثة لبيع الكتاب المقدس بل تضمن الأمر الطلب من البعثة مغادرة البلاد .[2]

٢ ـ وفي عام ١٩٠٩ احتجّ حاكم مسقط على افتتاح مستشفى للبعثة في مطرح ، وكان موقفه أن البعثة يجب لاتتجاوز مسقط . وقد دارت مراسلات بينه وبين نائب القنصل

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ٦٤ .

الأمريكي بالوكالة اتسمت بالعنف من جانب حاكم مسقط ضد هذا الانتهاك الصريح لحقوقه . ولكن القنصل الأمريكي أصر من جانبه ـ على موقفه ـ وبلهجة شديدة وذلك في رسالة بعثها إلى حاكم مسقط جاء فيها « ... يشرفني أن أقول أنني أحتج بشدة على هذا التمييز المهين ضد الأطباء الأمريكيين وحقوقهم في أراضي سموكم » . وعاد الأمير في خطاب يرفض السماح للمنصرين بافتتاح المستشفى .[1]

رابعاً : الغموض في توضيح الارتباط السياسي للبعثة :

لقد أشار الباحث الأمريكي في رسالته إلى أن الخدمات الطبية للبعثة العربية قد كانت في خدمة جيوش الحلفاء في المنطقة ولكنه لم يزد على هذه النقطة بينما أوضحها الدكتور عبد المالك التميمي الذي بحث في الوثائق نفسها التي رجع إليها الباحث الأمريكي ونجمل هذا الارتباط السياسي في النقاط التالية :

١ ـ محاولة السلطات البريطانية وضع الخدمات الطبية للبعثة العربية الأمريكية تحت إشرافها العام . بل إنها وصلت إلى الرأي بأنه إذا صدر عن البعثة العربية أي تصرف قد يفهم

(١) المرجع نفسه ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .

بأنّه مخالف للمصالح البريطانية فإن البعثة العربية تعرض نفسها للطرد من الخليج .

٢ ـ اتصال المخابرات البريطانية ببعض أفراد البعثة العربية والحصول على تأييدهم للسلطات البريطانية في المنطقة . وقد قام بعض أفراد البعثة بتأكيد ولائهم للسياسة البريطانية بتقديم تقارير عن حكام المنطقة ومن ذلك ما كتبه الدكتور بول هاريسون حول حمدان « شيخ أبو ظبي » يصف فيه هذا الحاكم بالولاء لبريطانيا ويقترح وسائل معينة للتعامل معه .

٣ ـ تقديم المنصّرين المساعدة لبعض أمراء الخليج في خلاف بعضهم مع بعض .

٤ ـ محاولة التأثير في بعض حكام المنطقة وشيوخها لتأييد بريطانيا والحلفاء في الحرب العالمية الأولى . وقد روت إحدى زوجات أطباء البعثة عن اجتماع خمسة من شيوخ المنطقة مع زوجها في منزله وكان نتيجة الاجتماع خروجهم بتصريح كتبوه بمشورته لتأييد الحلفاء .

٥ ـ تقديم تقارير عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد وذلك للفرصة التي اتيحت لهم للاتصال المباشر بأهل البلاد في حين لم يتح لرجال الاستعمار مثل هذه

الفرصة .[1]

وقفات أخرى :

لقد وضعت الإرسالية العربية القواعد للعمل التنصيري ، واستخدمت في ذلك عدة وسائل أبرزها الطب والتعليم . وعندما قررت أن تغادر البلاد وأن تحل البعثة كانت قد أسندت العمل إلى مجموعة من الكنائس الوطنية . فلذلك نرى أن التنصير لم يتوقف ولكنه أخذ صوراً وأشكالاً أخرى ، واستخدم لذلك مجموعة من الوسائل التي ماتزال تعمل حتى يومنا هذا ، ومن هذه الوسائل مايلي :

١ ـ الاذاعة :

وهذه وسيلة واسعة الانتشار رصد لها المنصرون جميع الامكانات المطلوبة وذلك بإيصالها إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وبخاصة الخليج العربي . وهناك مؤسسة نصرانية كبرى تهتم بهذا الجانب هي : « الاتحاد العالمي للاتصالات المسيحية » .[2]

---

(١) عبد المالك . مرجع سابق . ص ٢٦٠ ـ ٢٨٠ .

(٢) سعيد حارب المهيري . الغزو الفكري في الخليج . رسالة ماجستير مقدمة لكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض عام ١٤٠٥ ـ ١٩٨٤ . ص ٤١٠ .

ويذكر أحمد فون دنفر أن الإذاعة النصرانية تبث برامجها الموجهة إلى الخليج من محطات مختلفة ويتم اعداد البرامج في محطات بعيدة مثل فرنسا وأسبانيا ولبنان وجزر سيشل . كما استخدموا برنامج تعليم اللغة الإنجليزية في هيئة الاذاعة البريطانية (B.B.C.) حيث يعرض على المستمع أن ترسل إليه نصوصٌ مترجمة إلى العربية فإذا طلب هذه النصوص أرسلت إليه نسخة من الإنجيل مترجمة إلى اللغة العربية .(١)

وقد أورد الدكتور سعيد حارب بياناً بالإذاعات التنصيرية التي يمكن التقاطها في الخليج وذكر الموجات التي تستخدمها هذه الإذاعات ومعلومات أخرى عنها .(٢)

٢ ـ السفينة لوغوس :

ومن الوسائل الحديثة للتنصير قيام هذه السفينة الضخمة بحمل كميات كبيرة من الكتب ويعمل على متنها مجموعة من المنصرين فإذا ما زارت أحد الموانىء العربية الإسلامية في الخليج أعلن أنه سيقام معرض للكتب التربوية أو العلمية على متن السفينة . فإذا ما جاء الزوار وجدوا مجموعة من الكتب التنصيرية توزع مجاناً أو بأسعار مخفضة . كما أن المنصرين

---

(١) أحمد فون دنفر . التبشير المسيحي في منطقة الخليج . (بدون ناشر وبدون تاريخ) ص٦ .

(٢) المهيري ، مرجع سابق ص٤١٢ ـ ٤١٤ .

العاملين على متن السفينة يقومون بالحديث مع الزرار ويحصلون على عناوينهم ويقومون فيما بعد بإرسال المنشورات والمطبوعات إليهم إذا لمسوا فيهم استعداداً لتقبل هذا الأمر .[1]

٣ ـ النشرات والمطبوعات :

إن من حرص المنصرين على إيصال رسالتهم إلى جميع شعوب المنطقة ما جعلهم يستخدمون هذه الوسيلة فهم يقومون بإصدار الكتيبات والملصقات المطبوعة طباعة جميلة يتفننون في إخراجها وزخرفتها . ويكون توزيع هذه المنشورات والمطبوعات عن طريق صناديق البريد بطريقة عشوائية أو يرسلونها إلى أفراد معينين من ذوي المناصب العلمية والادارية أو السياسية بعد أن يحصلوا على عناوينهم من بعض النصارى الذين يعملون في الخليج .

وترسل هذه النشرات من دول أوروبا المختلفة وأمريكا ، ويقول الدكتور سعيد حارب بأن هذه النشرات : « تحتوي فكراً تنصيرياً مباشراً يبث العقيدة النصرانية في قلوب القراء ويحاول تشويه الأسلام في نفوسهم » .[2]

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٦٩ ودنفر ص ١٥ .

(٢) سعيد حارب ، الغزو الفكري ، ص٤٠٢ .

٤ ـ صانعو الخيام :

لجأ المنصرون إلى هذه الطريقة للتغلب على العقبات التي تواجههم في دخول بعض دول الخليج التي لايسمح لهم فيها بالدخول رسمياً . وتعني هذه الطريقة أن المنصّر لايعلن عن نفسه بأنه يعمل في هذا الميدان بل يكون مهندساً أو مدرساً أو أستاذاً جامعياً أو خبيراً أو غير ذلك من المهن . وقد تدفق هؤلاء على دول الخليج بعد هبوط الثروة البترولية عليه .

وهم بهذه الطريقة يحققون بعض الأهداف منها : أن العمل التنصيري لايحتاج إلى دعم مالي من المؤسسات والهيئات التنصيرية حيث إن الحكومات الخليجية تدفع رواتب هؤلاء المنصرين ولكن « صانع الخيام » يحتاج إلى التوجيه والارشاد في عمله .

وقد ناقش المؤتمر السنوي السادس لمنظمات الهيئات التنصيرية المنعقد في كاليفورنيا بالولايات المتحدة عام ١٩٨٠ هذا الأمر وتحدث أحد المؤتمرين قائلاً بأن أبواب العالم الإسلامي مفتحَة لهم حتى تلك الدول التي عرفت بأنها مغلقة في وجه المنصّرين .

ولايكتفي صانع الخيام بالعمل وحده في الميدان بل إنه

يسعى إلى توظيف بني دينه الذين يرى فيهم الرغبة والقدرة على العمل التنصيري . فقد يكون في المؤسسة الخليجية شخص واحد وإذا به يجذب العشرات بعد أعوام . وأحياناً تنص اعلانات التوظيف التي تنشر في أوروبا وأمريكا على ذلك .

ولايظهر هؤلاء أمام الناس بالعمل التنصيري وإن كان هو هدفهم الأساس . [1]

٥ ـ المربيات والعمال :

سعى المنصرون أيضاً للدخول إلى المجتمعات الإسلامية عن طريق هذا العدد الضخم من المربيات والعمال . فالمنصرون يقومون بالسيطرة أولاً على المؤسسات العاملة في تصدير العمالة إلى دول الخليج فيسعون إلى توظيف النصارى أولاً ثم بعد وصول العمال والمربيات إلى دول الخليج تهتم بهم الكنائس المحلية لمواصلة العمل التنصيري عن طريقهم .

والعمال يؤثرون في المجتمعات التي انتقلوا إليها عن أكثر من طريق فهناك التأثير الثقافي والاجتماعي كما إنهم يقومون بنشر فكرهم وعقيدتهم .

أما المربيات فلهن دور أخطر حيث يعملن في المنازل مع

---

(١) دنفر مرجع سابق ص ٦ ـ ٨ ـ ١٠ .

(٢) حارب مرجع سابق ص ٤٧٧ ومابعدها .

الأطفال مستأثرات بمعظم وقت الأطفال وبخاصة عند غياب الأمهات أو حتى في حضورهن فيقمن بتعليم الأطفال الفكر والعادات والعقيدة النصرانية .[٢]

وهناك وسائل أخرى كثيرة ولا أود أن أطيل الحديث فحسبي ما أشرت إليه من مراجع ولكن لا بدّ من الإشارة إلى موضوع المرأة ومدى اهتمام المؤسسات التنصيرية به وقد أشار إليه الباحث الأمريكي في ثنايا بحثه . كما استخدم المنصرون الفنادق وما يقام فيها من نشاطات .

أعلم أن هذه الوقفات لاتكفي ولكن ما لا يدرك كله لايترك جلّه ، فأسأل الله السداد والرشاد والتوفيق وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

مصادر وثائقية :

١ ـ البعثة العربية . أخبار تنصيرية ورسائل . تقرير فصلي « التوزيع المحدود بين أصدقاء البعثة العربية » وصدرت تحت العنوان : تقارير ميدانية من البعثة العربية (الأعداد ١ ـ ٤٠) من ١٨٨٩ إلى ١٩٠٢ ، العربية المهملة (الأعداد ٤١ ـ ٢١٥) من ١٩٠٢ إلى ١٩٤٩، والعربية تدعو (الأعداد٢١٦ ـ ٢٥٠) من ١٩٤٩ حتى ١٩٦٢ نيويورك . البعثة العربية التابعة للكنيسة الإصلاحية الأمريكية ١٨٨٩ ـ ١٩٦٢ . (الملف الخاص بنسخ هذه المطبوعة محفوظ في الأرشيف التابع للكنيسة الإصلاحية الأمريكية في معهد نيوبرونزويك اللاهوتي في مدينة نيوبرونزويك ، ولاية نيوجرسي . وكذلك في المكتب الرئيس للكنيسة الإصلاحية في نيويورك وعنوانه :

475 Riverside Drive , New York , N . y.

٢ ـ أرشيف الكنيسة الإصلاحية في أمريكا . أوراق ومذكرات وصور فوتغرافية وسجلات العمل التنصيري . في غرفة الكنيسة الهولندية في مكتبة قاردنر اي ساج في معهد نيوبرونزويك اللاهوتي وعنوانه :

29 Seminary Place , New Brunswick , N.J.

والمواد التالية مأخوذة من هذا المكتب :

- Maltby,Lt..Col. R.G. (ret). " The National Evangelical Church in Kuwait from its Origin until December ,1976," an address delivered to the Annual General Meeting of the English Language Congregation of theN.E.C.K.on 2 February,1977.

- Mylrea,Dr.C. Stanley G. Kuwait before Oil. (an unpuplished man uscript containing memoirs written from1945 to1051).

- Nykerk, Rose.," Minutes of the Meeting of Representatives of the Arabian Mission held 21-24 March 1973 in Muscat,Oman."

- Scudder, Dorothy B. The Beginning of Medical Work in Kuwait an address presented to thje Kuwait Family Development Society at the Kuwait Sheraton on 4 April ,1976, as part of a seminar entiteled " The Future of Medical Services in Kuwait ".

- Scudder, Lewis., Jr."The Missionary in the Secu ; arInstitution," a paper presented at the meeting of theArabian Mission heldin Muscat, 21-24 March,1973.

- Scudder, Lewis R. Jr." Discussions and Recommendations Concerning the Nature of the National Evangelical Church in Kuwait Town MalayaleeChristian Congregation," a memorandum presented to the Common Council of the N.E.C.K. on 14 June,1974.

- Scudder, Lewis R., Jr. " Background Essays on Kuwait and the Christian Ministry," studies prepared for private circulation among friends of the Arabian Mission, 26 February,1975.

- Van Ess, Dorothy. History of the Arabian Mission , 1926-1957. (an unpuplished manuscript tracing Missionary work sincethe puplication of the first history of the Mission).

- Van Ess , John The Sermons of John Van Ess . (an unpuplished Collections of sermons and notes).

٣ - مجلس الجمعيات التنصيرية العالمي التابع للكنيسة الإصلاحية الأمريكية ، تقارير ، مذكرات ، وسجلات محتفظ بها في المكتب المركزي للكنيسة الإصلاحية الأمريكية وعنوانه :

475 Riverside Drive , New York , N.y.

وفيما يلي الوثائق التي رجع إليها الباحث :

- Arabian Mission Medical Study Team."Report of the Arabian Mission Medical Study Team to the Board of World Missions on a Comprehensive Study of the Mission Hospitals in the Gulf - Kuwait, Bahrain and Muscat mutrah " delivered on9 November,1966.

- Buteyn, John E. " Report on the Hospital Closing and New Programs in Kuwait," a revised version of the presentation delivered to the Board of the World Missions on 13 April,1967.

- Buteyn,John E." The Medical Program in Oman and Proposed Transfer of Mutrah Hospital Property to the Oman Ministry of Health," report prepared in April,1974.

- General Program Council, Reformed Church in America." Agreement with the Sultanate of Oman Ministry of Health on the Status of Mission Hospitals in Muscat and Mutrah," 9 December,1970.

- General Program Council, Reformed Church in America." Agreement of the GPC with the Sultanate of Oman Ministry of Health on the Status of the Arrahma (Mutrah) and Assaada (Muscat) Hospitals," 6 April,1974.

٤ ـ مكتبة سجلات المكتب الهندي . ملفات مراسلات وزارة الخارجية .

المراسلات محفوظة في مكتب الأوربت هاوس وعنوانه :

Orbit House, Black Friars Road, London, England

وفيما يلي المراسلات التي رجع إليها الباحث

من البعثة الأمريكية إلى مسقط ١٩٠٨ ـ ١٩٢٥م ـ	R/15/3/6/6
من البعثة الأمريكية إلى البحرين	R/15/2/1
من الدكتورتومس إلى السلطات الأمريكية	R/15/3/3/2&3
البعثة الأمريكية في الكويت	R/15/5/3/3
البعثة العربية ، البحرين	R/15/2/H/4
مراسلات مع البعثة الأمريكية	R/15/2/16/2&3

نشاطات تنصيرية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٩) الكويت R/15/5/3/3

نشاطات تنصيرية في الكويت (في الثلاثينات) R/15/5/314

٥ ـ مقابلات شخصية :

أجريت المقابلات الشخصية التالية مع المنصرين أعضاء البعثة العربية في أثناء إعداد الرسالة :

أ ـ مقابلات مع الدكتور دونالد بوش Donald Bosch والقس والسيدة هارفي ستال Harvey Staal ودكتور هارفي دورنبوز Harvey Doorenbos والسيد جاك سمز Jack Sims الابن خلال زيارتي لمسقط في سبتمبر ١٩٧٢ .

ب ـ مقابلات مع الدكتور والسيدة لويس آر سكودر الأب Dr & Mrs L. R. Scudder Jr خلال زيارة للكويت في ديسمبر ١٩٧٢ .

ج ـ مقابلات مع القس هارولد ديفنبورت Harold Davenport والسيدة روز نايكرك Mrs. Rose Nykerk والسيد تد سكودر Ted Scuddere خلال إقامتي في البحرين ربيع ١٩٧٤ .

د ـ لقاءات مع القس والسيدة لويس آر سكودر الابن Rev & Mrs Lewis R. Scudder خلال زيارتي للكويت ، يونية ١٩٧٤ .

هـ ـ لقاءات مع القس والسيدة ادوين إم . لويدنز Rev & Mrs Edwin M. Luidens في نيوبرونزويك وتينك في نيوجرسي ، فبراير ١٩٧٧ .

و ـ مقابلات مع القس والسيدة لويس آر.سكودر الابن في نيوبرونزويك، نيوجرسي فبراير ١٩٧٧ .

٦ ـ أعمال مطبوعة :

- Anderson ,Gerald H.(ed.) The Theology of the Christian Mission. New York: McGraw-Hill,1961.

- Berger,Morroe. The Arab World Today. New York :Doubleday,1962.

- Calverley,Eleanor T. M.D. My Arabian Days And Nights: a Medical Missionay in Old Kuwait. New York:Crowwell,1958.

- Chamberlain, Mrs.W.I. Fifty Years In Foreign Fields : China, Japan, India, Arabia.A History of Five Decades of the Women's Board of Foreign Missions. Reformed Church in America, 1875-1925. New York: WBFN, RCA,1925.

- Field, James A. America and the Mediterranean World,1776-1882. Princeton: Princeton University Press,1969.

- Freeth, Zahra . Kuwait Was My Home. London: George Allen and Unwin Ltd.,1956.

- Freeth, Zahrah, &Winstone, H.V.F. Kuwait: Prospect and Reality. London: George Allen and Unwin Ltd.,1972.

- Glover,R.H. and Kane.J.H. The Progress of World -Wide Missions. New York: revised edition,1960.

- Grabill, Joseph L. Protestant Diplomacy and the Near East, Missionary Influence on American Policy, 1810 - 1927. Minneapolis: University & Minnestota Press,1971.

- Harrison, Ann M. A Tool in His Hand: the Story of Dr.Paul W. Harrison of Arabia. New York:Friendship Press,1958.

- Harrison , Paul W. The Arab At Home. New York : Crowell,1924.

- Harrison Paul W. Doctor inb Arabia . New York : John Day,1940.

- Kramer, Hendrick. The Christian Message in a Non - Christian World. Grand Rapids: Kreugel Puplications,1963.

- Kuwait Minisry of Guidance and Information. Kuwait Today: a Welfare State. Nairobi:Quality Puplications,1963.

- Mason , Alfred DeWitt and Barny,Frederick J. History of the Arabian Mission. New York : RCA Board of Foreign Missions, 1926 .

- Neill, Stephen Charles. Christian Missions:Pelican History of the Church.vol.6. Grand Rapids:Erdmans,1964.

- Runciman, Stephen. A History of the Crusadeas (3 vols.) Cambridge: Cambridge University Press,1951.

- Sanmiguel, Monsignior V. Christians in Kuwait. Beirut : Beirut Printing Press,1970.

- Storm, Ida Patterson. Highways in the Desert. New York : Broad man Press,1950.

- Storm Harold W. Whither Arabia: a Survey of Missionary Opportunity. New York:World Dominion Press,1938.

- Van Ess John . Meet the Arab. New York: John Day&Co.1943.

- Warren, Max Alexander Cunningham. Social History and Christian MIsson. London:Society of Christian Missions Press,1967.

- Wilson, J. Christy . The Christian Message to Muslims . New York : John Day,1950.

- World MIssion of the Church. Findings and Recommendations of the International Missionary Council, Tambaram, Madras, India, Dec.12th.to 29th. 1938. New York : International Missionary Coun cil,1939.

-Zwemer,Samuel M.&Cantine,James. The Golden Milestone. New York : Revell,1948

- Zwemer,Samuel M. Across the World of Islam :Studies in Aspects of the Mohammadan Faith and in the Present Awakening of the Moslem Multitudes. New York,Revell,1929.

- Zwemer, Samuel M. Arabia the Cradle of Islam. New York : Revell,1900.

- Zwemer Samuel M. The Disintegration of Islam. New York : Revell,1916

- Zwemer, SamuelM. The Unoccupied Mission Fields of Africa and Asia. New York: Volunteer Movement for Foreign Missions,1911.

مصادر الترجمة

١ ـ الإبراهيمي ، محمد البشير ، **آثار البشير الإبراهيمي** ، الجزء الرابع . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٥ م .

٢ ـ التميمي ، عبدالجليل . «دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس ١٨٣٠ ـ ١٨٨١» ، **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد ٣ في يناير ١٩٧٥ م .

٣ ـ التميمي ، عبد المالك . **التبشير في منطقة الخليج العربي** . الكويت : شركة كاظمة ، ١٩٨٢ م .

٤ ـ دنفر ، أحمد فون . **التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي** . (بدون ناشر وبدون تاريخ)

٥ ـ المهيري ، سعيد حارب . **الغزو الفكري في الخليج العربي** . رسالة ماجستير قدمت لكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ (مطبوعة على الآلة الكاتبة)

٦ ـ نداء من الأزهر . **جريدة الصراط السوي** . قسنطينة (الجزائر) : العدد ٥ ، في ٢٦ جمادى الثانية ١٣٥٢ ـ ١٦ أكتوبر ١٩٣٣ .

كتب أخرى للمترجم

١ ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ١٣٤٩ ـ ١٣٥٨ هـ (١٩٣١ ـ ١٩٣٩ م) دمشق : دار القلم ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

٢ ـ المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق . جدة دار الريشة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

٣ ـ عبدالحميد بن باديس : العالم الرباني والزعيم السياسي دمشق : دار القلم ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م .

٤ ـ من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر المدينة المنورة : مكتبة ابن القيم ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م .

٥ ـ الغرب في مواجهة الإسلام : معالم ووثائق جديدة المدينة المنورة : ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م .

٦ ـ نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان لأمين بن حسن حلواني المدني (ت ١٣١٦ هـ) (تحقيق) المدينة المنورة : مكتبة ابن القيم ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩ م

الفهـــرس

تصريح وزارة الاعلام بجدة
رقم ٣٧٤٥/م/ج
بتاريخ : ١٤١٠/٩/٢١ هـ